صبيح كلش

يحلّق بـ«طائر الجنوب» في فضاءات الذاكرة البصرية

ص9

إسبانيا تتحدى صحوة بلجيكا في مساعيها نحو النجمة الثانية

ص11

صراع السلطة بين الدول وعمالقة التكنولوجيا

ص10

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الجمعة 2026/07/10 - 25 المحرم 1448

السنة 49 العدد 13857

Friday 10/07/2026

49th Year, Issue 13857

www.alarab.co.uk

اليمن على أعتاب مواجهة عسكرية جديدة بعد تهدئة هشة

رحلة طائرة إيرانية إلى مطار صنعاء تشعل فتيل التصعيد

صنعاء - تتجه الأزمة اليمنية نحو مرحلة أكثر تعقيدًا، مع تصاعد مؤشرات سياسية وعسكرية تنذر بانهيار التهدئة الهشة المستمرة منذ أبريل 2022، في ظل تبادل التهديدات بين الحكومة اليمنية المعترف بها دوليًا وجماعة الحوثي، وعودة الحشود العسكرية إلى عدد من الجبهات، بما يعيد إلى الواجهة احتمال اندلاع جولة جديدة من الحرب بعد سنوات من الجمود النسبي.

وجاء التصعيد الأخير على خلفية أزمة أثارتها رحلة جوية إيرانية إلى مطار صنعاء، تحولت سريعًا من حدث يتعلق بحركة الطيران إلى أزمة سياسية وأمنية كشفت حجم التوتر الكامن بين أطراف الصراع، وأعادت إبراز البعد الإقليمي للحرب اليمنية في ظل احتدام المنافسة بين إيران والدول الداعمة للحكومة الشرعية.

ورغم أن الهدنة التي رعتها الأمم المتحدة أسهمت في خفض وتيرة العمليات العسكرية وتراجع الهجمات العابرة للحدود، فإنها لم تنجح في إنتاج تسوية سياسية تنهي الصراع، بل اكتفت بتجميد خطوط المواجهة، بينما واصل كل طرف تعزيز قدراته العسكرية وترتيب أوراقه استعدادًا لأي تغير في موازين القوى.

ولم تتوقف خلال سنوات التهدئة عمليات التجنيد والتسليح وإعادة الانتشار، كما بقيت ملفات تقاسم السلطة والموارد ومستقبل القوات المسلحة خارج إطار الحل، وهو ما جعل الهدوء الميداني أقرب إلى هدنة مؤقتة منه إلى سلام مستدام.

> الرحلة الجوية الإيرانية تحولت إلى نقطة مفصلية في التصعيد باعتبارها أول رحلة إيرانية معلنة تصل إلى مطار صنعاء منذ أعوام

وفي هذا السياق عقد رئيس مجلس القيادة الرئاسي رشاد العليمي اجتماعًا موسعًا في الرياض ضم رئيس مجلس النواب سلطان البركاني، ورئيس مجلس الشورى أحمد عبيد بن دغر، ورئيس هيئة التشاور والمصالحة محمد الغيثي، لبحث التطورات الأمنية والسياسية وتداعيات التحركات الأخيرة.

ووفق وكالة الأنباء اليمنية الرسمية (سبأ)، ناقش الاجتماع ما وصفه بـ"التصعيد الجديد لميليشيات الحوثي"، معتبرًا أن تسيير طائرة تابعة للحرس الثوري الإيراني إلى مطار صنعاء يمثل انتهاكًا للسيادة اليمنية، وخرقًا لقرارات مجلس الأمن والعقوبات الدولية، كما يعكس انتقال الدعم الإيراني إلى مستوى أكثر وضوحًا وعلنية.

وأكد العليمي أن المرحلة الحالية تتطلب أعلى درجات التماسك الوطني، داعيًا إلى توحيد الخطاب السياسي وتعزيز التنسيق بين مؤسسات الدولة، باعتبار أن مواجهة التحديات الأمنية والسياسية تستوجب اصطفافًا داخليًا واسعًا، إلى جانب تنشيط التحرك الدبلوماسي.

كما شددت القيادات المشاركة في الاجتماع على ضرورة دعم القوات المسلحة والأجهزة الأمنية وتعزيز الجبهة الداخلية، في وقت تتزايد فيه المخاوف من انتقال البلاد إلى مرحلة جديدة من المواجهات العسكرية.

في المقابل لم تقتصر تحركات جماعة الحوثي على التصريحات السياسية، بل اتخذت طابعًا ميدانيًا واضحًا، إذ شهدت محافظات صعدة وحجة والجوف وذمار ومأرب والحديدة تجمعات وحشودًا مسلحة أعلنت خلالها الجماعة "النفير العام" والاستعداد لخوض ما وصفته بـ"معركة الاستقلال الوطني" و"كسر الحصار".

ورفعت الحشود أسلحتها خلال تلك الفعاليات، بينما دعا مسؤولو الجماعة المشاركين إلى الالتحاق بجبهات القتال، في رسالة فسّرها مراقبون بأنها محاولة لإظهار الجاهزية العسكرية، وتوجيه إنذار مبكر إلى خصومها يفيد بأن أي تصعيد سيقابل برد واسع.

وفي الوقت نفسه أفادت وسائل إعلام حكومية بأن مسلحين قبليين أسقطوا طائرة مسيرة تابعة للحوثيين في محافظة الجوف أثناء تنفيذها مهمة استطلاعية، في مؤشر إضافي على اتساع رقعة الاحتكاكات الميدانية، حتى في المناطق التي شهدت هدوءًا نسبيًا خلال الأعوام الأخيرة.

وصارت الرحلة الجوية الإيرانية إلى مطار صنعاء نقطة الارتكاز الأساسية في الأزمة الحالية، إذ اعتبرتها الحكومة اليمنية والتحالف الداعم لها خرقًا للآليات الدولية المنظمة لحركة الملاحة الجوية في المطار، ورسالة سياسية تؤكد سعي طهران إلى تكريس حضورها المباشر في الملف اليمني.

في المقابل أعلنت جماعة الحوثي أنها تصدت لطائرات حربية سعودية حاولت منع هبوط الطائرة الإيرانية، مؤكدة أن الرحلة تندرج ضمن جهود كسر ما تصفه الجماعة بالحصار المفروض على اليمن، وأنها تأتي في إطار رحلات مدنية وإنسانية.

وتكتسب هذه الرحلة أهمية استثنائية باعتبارها أول رحلة إيرانية معلنة تصل إلى مطار صنعاء منذ نحو عشرة أعوام، وهو ما منحها أبعادًا سياسية تتجاوز طبيعة الرحلات الجوية، لتصبح اختبارًا جديدًا لحدود النفوذ الإيراني، ولقدرة الحكومة اليمنية وحلفائها على فرض القيود التي يطالبون بها.

نفير حوثي

القضاء العراقي يضبط المزيد من الأموال المنهوبة في قضية الجميلي

بغداد - أعلن قاضي تحقيق محكمة جنايات مكافحة الفساد المركزية في العراق، ضياء جعفر، الخميس، ضبط 14 مليار دينار عراقي إضافية ضمن قضية وكيل وزارة النفط لشؤون التصفية الموقوف عدنان الجميلي، لترتفع قيمة الأموال المضبوطة إلى نحو 141 مليار دينار، في واحدة من أكبر قضايا الفساد التي يشهدها العراق خلال السنوات الأخيرة.

ولا تكمن أهمية القضية في حجم الأموال المضبوطة فحسب، بل في أنها أصبحت اختبارا حقيقيا لقدرة الدولة العراقية على الانتقال من مرحلة الكشف عن ملفات الفساد إلى مرحلة محاسبة أصحاب النفوذ السياسي والإداري الذين ظلوا لعقود بمنأى عن الملاحقة القضائية.

وقد تحولت قضية الجميلي إلى قضية رأي عام، بعدما سلطت الضوء مجددا على حجم النزيف المالي الذي تعرض له العراق منذ عام 2003، حيث بُددت مئات مليارات الدولارات من عائدات النفط في مشاريع متعثرة أو وهمية، فيما بقيت البنية التحتية والخدمات العامة تعاني من انهيار مزمن انعكس على الكهرباء والصحة والتعليم والإسكان والنقل.

ويرى مراقبون أن سرعة تطور التحقيقات وتوالي عمليات ضبط الأموال واعتقال مسؤولين كبار توحي بأن حكومة رئيس الوزراء علي فالح الزيدي تسعى إلى تقديم نفسها باعتبارها حكومة مختلفة، تضع مكافحة الفساد في صدارة أولوياتها، خصوصا أن هذا الملف كان أحد أبرز مطالب العراقيين خلال احتجاجات الأعوام الماضية.

في المقابل تبرز تساؤلات حول ما إذا كانت القضية ستتحول إلى نقطة انطلاق لحملة إصلاح واسعة، أم أنها ستظل محصورة في ملف واحد يحظى بتغطية إعلامية كبيرة، بينما تبقى بقية شبكات الفساد بعيدة عن المساءلة.

وتنبع هذه المخاوف من طبيعة النظام السياسي العراقي الذي تأسس بعد عام 2003 على المحاصصة الحزبية والطائفية، وهو نظام منح الأحزاب والفصائل المسلحة نفوذا واسعا داخل مؤسسات الدولة، وأتاح لها التحكم في وزارات وهيئات عامة ومنافذ اقتصادية ضخمة، بما جعل الفساد جزءا من بنية الحكم.

ولم يعد الحديث في العراق يدور حول مسؤولين متورطين في الرشوة أو الاختلاس فحسب، بل عن منظومات مالية متكاملة تستفيد من العقود الحكومية والمشاريع الاستثمارية والمنافذ الحدودية والمشتريات العامة، وهي شبكات تمتلك في الكثير من الأحيان غطاء سياسيا وأمنيا يجعل تفكيكها مهمة معقدة.

ولهذا يرى محللون أن نجاح الحكومة لن يقاس بعدد الموقوفين أو حجم الأموال المستردة، وإنما بقدرتها على كسر الحصانات غير المعلنة التي تمتعت بها شخصيات سياسية وحزبية نافذة طوال السنوات الماضية.

ويشير واقع الإدارة العراقية إلى أن عددا من القطاعات الخدمية ظل لسنوات خاضعا لنفوذ قوى سياسية وفصائل مسلحة، ما جعل الأداء الحكومي رهينة لمعادلات الولاء الحزبي أكثر من اعتماده على معايير الكفاءة الإدارية.

ولذلك فإن إصلاح هذه القطاعات لا يتطلب ملاحقة مسؤولين متهمين بالفساد فحسب، بل يستوجب إعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس مهنية.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

الطريق إلى التفاوض يمر عبر حافة الحرب

كلما اقتربت الولايات المتحدة وإيران من حافة المواجهة، ظهرت فرصة جديدة للعودة إلى التفاوض. تبدو هذه المفارقة غريبة، لكنها تلخص أربعة عقود من العلاقة بين البلدين. فالقوة لم تكن يوما بديلا عن الدبلوماسية في هذا الصراع، بل كانت غالبا الطريق الذي مهّد لها. العقوبات والتهديدات والضربات العسكرية لم تُنهِ الخصومة، لكنها أعادت في كل مرة رسمَ شروط الحوار.

المشكلة أن العالم ينظر عادة إلى الحرب والتفاوض باعتبارهما خيارين متناقضين. لكن العلاقات الدولية تثبت أن الدول الكبرى تستخدم القوة أحيانا ليس لتحقيق نصر نهائي، بل لتحسين موقعها قبل الجلوس إلى الطاولة. وفي المقابل، يصبح التفاوض وسيلة لإدارة الصراع لا لإنهائه بالضرورة.

هذه هي طبيعة الأزمة الأميركية-الإيرانية اليوم. فهي ليست مجرد خلاف حول الملف النووي أو أمن الخليج، بل صراع أوسع حول قواعد النفوذ في الشرق الأوسط: من يحدد حدود القوة؟ ومن يملك القدرة على فرض شروطه في النظام الإقليمي؟

منذ الثورة الإيرانية عام 1979، انتقلت العلاقة بين واشنطن وطهران من تحالف وثيق إلى خصومة إستراتيجية. أزمة الرهائن في السفارة الأميركية أسست لعداء طويل، ثم جاءت العقوبات، والحرب العراقية-الإيرانية، والصراعات الإقليمية، لتعمّق انعدام الثقة بين الطرفين. ومع ذلك، لم تختفِ الحاجة إلى التفاوض، لأن كلفة المواجهة المفتوحة بقيت أكبر من قدرة أي طرف على تحملها.

كان الاتفاق النووي عام 2015 مثالا واضحا على هذه المعادلة. فهو لم يكن مصالحة بين البلدين، بل اتفاقا على إدارة الخلاف. قبلت إيران بقيود على برنامجها النووي مقابل تخفيف العقوبات، بينما قبلت الولايات المتحدة بأن الحوار قد يكون أكثر فاعلية من سياسة الضغط المستمر. لكن الاتفاق بقي هشا لأنه لم يعالج جذور الخلاف الأخرى، مثل الصواريخ والنفوذ الإقليمي والترتيبات الأمنية في الخليج.

مع انسحاب إدارة الرئيس دونالد ترامب من الاتفاق عام 2018 وعودة العقوبات، دخلت العلاقة مرحلة جديدة من التصعيد. واشنطن راهنت على أن الضغط الاقتصادي سيجبر إيران على تغيير سلوكها، بينما رأت طهران أن زيادة الضغط تستدعي تعزيز أوراق قوتها. وهكذا دخل الطرفان في دائرة مغلقة: كل خطوة من أحدهما كانت تُفسَّر لدى الآخر باعتبارها سببا لمزيد من التشدد.

لكن التصعيد الحالي لا يمكن فهمه بعيدا عن الجغرافيا. فمضيق هرمز لم يعد مجرد ممر بحري لنقل النفط، بل أصبح ورقة إستراتيجية في صراع النفوذ العالمي. فإيران تدرك أن قدرتها على التأثير في أمن الملاحة والطاقة تمنحها أداة ضغط تتجاوز حجمها الاقتصادي والعسكري التقليدي. وفي المقابل ترى الولايات المتحدة أن حماية حرية الملاحة واستقرار أسواق الطاقة جزء من مسؤوليتها الدولية.

لهذا فإن أي اضطراب في الخليج لا يبقى أزمة إقليمية. ارتفاع مخاطر الملاحة، أو تهديد إمدادات النفط، ينعكس على الأسواق العالمية، وعلى التضخم، وعلى اقتصادات بعيدة آلاف الكيلومترات عن الشرق الأوسط. وهنا تصبح الطاقة جزءا من معادلة الردع، لا مجرد ملف اقتصادي.

غير أن المواجهة لا تجري في الخليج وحده. فقد أصبح الصراع الأميركي-الإيراني شبكة واسعة تمتد إلى العراق وسوريا ولبنان والبحر الأحمر. إيران بنت خلال العقود الماضية نفوذا إقليميا عبر حلفاء وشركاء، بينما تعتمد الولايات المتحدة على منظومة تحالفات عسكرية وأمنية في المنطقة. والنتيجة أن أي أزمة بين واشنطن وطهران تحمل دائما خطر الانتقال إلى ساحات أخرى.

لكن المفارقة الأساسية أن أيا من الطرفين لا يبدو راغبا في حرب شاملة. الولايات المتحدة تعرف أن مواجهة طويلة في الشرق الأوسط ستكلفها سياسيًا وعسكريا، خصوصا في ظل تركيزها المتزايد على التنافس مع الصين. وإيران تدرك أن حربا مباشرة مع القوة الأميركية ستكون باهظة الثمن على اقتصادها واستقرارها الداخلي.

> الطرفان يملكان أدوات ضغط بلا تصور نهائي للنظام الإقليمي ما يجعل التفاوض ضرورة لتفادي مواجهة مفتوحة

لذلك يبقى السيناريو الأكثر احتمالاً هو استمرار التصعيد المنضبط: عقوبات وضغوط ورسائل عسكرية من جهة، وردود محسوبة ومحاولات لتعزيز النفوذ من جهة أخرى. غير أن هذا التوازن يبقى هشا لأن الأزمات الطويلة لا تصبح أقل خطورة بمرور الوقت، بل قد تجعل احتمال الخطأ أكبر.

لكن تجربة السنوات الماضية أظهرت أيضا حدود سياسة الضغط وحدها. فالعقوبات يمكن أن تستنزف الاقتصاد الإيراني وتحد من خيارات القيادة، لكنها لم تثبت قدرتها على تغيير الحسابات الإستراتيجية لطهران بصورة حاسمة. وفي المقابل، فإن قدرة إيران على استخدام أوراقها الإقليمية لا تمنحها تفوقا، بل تمنحها فقط قدرة على تعطيل خصومها ورفع كلفة المواجهة. وهذه معادلة لا تنتج انتصارا لأي طرف، بل تؤدي إلى إطالة الأزمة.

المعضلة الحقيقية أن كلًا من واشنطن وطهران يملك أدوات للضغط، لكنه لا يملك تصورا مقنعا لشكل النظام الإقليمي الذي يريد بناءه بعد انتهاء المواجهة.

وقد يكون السيناريو الآخر هو العودة إلى التفاوض، ليس بسبب اختفاء الخلافات، بل بسبب إدراك الطرفين أن استمرار المواجهة له حدود. فالتاريخ يبين أن الخصوم لا يتفاوضون عندما يصبحون متفقين، بل عندما تصبح كلفة الصراع أعلى من كلفة التسوية.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

عسكريون أميركيون في لبنان للإشراف على تنفيذ اتفاق الإطار

وزير الدفاع الإسرائيلي يتحدى واشنطن: لا نحتاج إلى إذن للبقاء في لبنان

شكوك لبنانية في النوايا الإسرائيلية

واشنطن تسعى إلى ترجمة "اتفاق الإطار" الذي رعته إلى خطوات عملية تعزز حضور الجيش اللبناني وتحد من احتمالات تجدد المواجهة، بينما تواصل إسرائيل ربط أي انسحاب إضافي بشروط تتعلق بسلاح حزب الله، في موقف يعكس استمرار التباين بين الرؤية الأميركية الساعية إلى احتواء التوتر، والمقاربة الإسرائيلية التي تمنح الأولوية للاعتبارات الأمنية والعسكرية.

بيروت - تكشف الإدارة الأميركية تحركاتها لتفعيل "اتفاق الإطار" الموقع بين لبنان وإسرائيل، في محاولة لنقل التفاهمات السياسية إلى مرحلة التنفيذ العملي، وسط استمرار المماطلة الإسرائيلية في تنفيذ الالتزامات المتعلقة بإعادة الانتشار والانسحاب من المناطق التي يفترض أن يتسلمها الجيش اللبناني في جنوب البلاد.

ويأتي هذا التحرك في وقت تزداد فيه المخاوف من انهيار التهدئة الهشة التي أعقبت الحرب الأخيرة، في ظل استمرار العمليات العسكرية الإسرائيلية في عدد من المناطق الحدودية، وتمسك تل أبيب بإبقاء قواتها داخل ما تصفه بـ"المنطقة الأمنية"، رغم الضغوط الأميركية الداعية إلى احترام التفاهمات التي جرى التوصل إليها برعاية واشنطن.

وفي هذا السياق أعلن سفير الولايات المتحدة لدى بيروت ميشال عيسى، الخميس، أن وفدا عسكريا أميركيا سيصل إلى لبنان خلال الأيام المقبلة، للإشراف على المرحلة الأولى من تنفيذ الاتفاق، مؤكدا أن التحضيرات الميدانية والإدارية بلغت مرحلة متقدمة.

وجاء إعلان عيسى عقب لقائه الرئيس اللبناني جوزيف عون، بحسب بيان للرئاسة اللبنانية، بينما تزامن مع تصريحات تصعيدية لوزير الدفاع الإسرائيلي يسرائيل كاتس، عكست وجود تباين واضح بين الموقفين الأميركي والإسرائيلي بشأن مستقبل الوجود العسكري الإسرائيلي في جنوب لبنان.

وكان لبنان وإسرائيل قد وقعا في السادس والعشرين من يونيو الماضي، في واشنطن وبرعاية أميركية، "اتفاق إطار" ينص على بدء إعادة انتشار إسرائيلية من منطقتين تجريبيتين، على أن يتولى الجيش اللبناني مسؤولية الأمن فيهما، تمهيدا لتوسيع نطاق التنفيذ تدريجيا إذا أثبتت المرحلة الأولى نجاحها.

وأثار الاتفاق منذ الإعلان عنه انقساما واسعا داخل الساحة اللبنانية، إذ اعتبره بعض القوى السياسية خطوة ضرورية لتجنيب البلاد حربا جديدة، فيما رأت أطراف أخرى أنه يقدم تنازلات كبيرة لإسرائيل، خصوصا أنه يربط الانسحاب الإسرائيلي باستكمال انتشار الجيش اللبناني واتخاذ إجراءات تتعلق بحصر السلاح بيد الدولة.

ولم يحدد الاتفاق جدولا زمنيا واضحا للانسحاب الإسرائيلي، وهو ما فتح الباب أمام تفسيرات مختلفة، وأثار مخاوف من أن تتحول العملية إلى مسار طويل يخضع للتقديرات الأمنية والسياسية الإسرائيلية أكثر مما يخضع لنصوص الاتفاق.

وأوضح عيسى أن الوفد العسكري الأميركي سيعمل مع الجانبين على وضع الآليات التنفيذية الخاصة بالمناطق التجريبية، مؤكدا أن الهدف الأساسي يتمثل في ضمان عدم حدوث أي فراغ أمني لحظة انسحاب القوات الإسرائيلية، بما يتيح انتقالا منظما للمسؤوليات إلى الجيش اللبناني.

ميشال عيسى
زيارة عون إلى واشنطن تعكس مدى اهتمام ترامب بلبنان

وأضاف أن الاجتماعات التنسيقية ستحدد توقيت بدء التنفيذ على الأرض، وفق نتائج المشاورات الفنية والعسكرية، وبما يضمن استقرار الوضع الأمني ومنع أي تصعيد ميداني قد يعرقل تنفيذ الاتفاق.

ويرى مراقبون أن إرسال وفد عسكري أميركي إلى بيروت يعكس رغبة واشنطن في الانتقال من دور الوسيط السياسي إلى دور المشرف المباشر على تنفيذ الترتيبات الأمنية، بما يمنح الاتفاق قدرا أكبر من الضمانات، ويحد من احتمالات تعثره بسبب الخلافات بين الطرفين.

ولا تزال إسرائيل تحتفظ بمناطق داخل جنوب لبنان، بعضها يعود إلى سنوات طويلة، فيما توسعت سيطرتها خلال الحرب التي اندلعت بين عامي 2023 و2024، قبل أن تتوغل مجددا خلال العمليات العسكرية الأخيرة لمسافات تجاوزت عشرة كيلومترات داخل الأراضي اللبنانية، ما يجعل مسألة إعادة الانتشار إحدى أكثر القضايا حساسية في المفاوضات الجارية.

وفي إطار متابعة تنفيذ الاتفاق، تستعد الوفود اللبنانية والأميركية والإسرائيلية لعقد جولة جديدة من الاجتماعات في العاصمة الإيطالية روما يومي الرابع عشر والخامس عشر من يوليو الجاري، بعد سلسلة اجتماعات سابقة استضافتها واشنطن.

وأوضح عيسى أن اختيار روما لا يعكس أي تغيير في طبيعة المفاوضات، وإنما جاء لأسباب تقنية ولوجستية تتعلق بتسهيل تنقل أعضاء الوفود والسفراء، مؤكدا أن الاجتماع سيكون مخصصا للجوانب التنفيذية والتنظيمية الخاصة باتفاق الإطار.

وأشار إلى أن الاجتماعات ستناقش تشكيل فرق عمل متخصصة تضم خبراء قانونيين وتقنيين وعسكريين، بهدف متابعة تنفيذ البنود المتفق عليها، لافتا إلى أن روما لن تكون المحطة الأخيرة، بل ستعقبها اجتماعات أخرى في عواصم مختلفة وفقا لمراحل التنفيذ.

ويعكس هذا المسار حرص الإدارة الأميركية على إنشاء آلية متابعة مستمرة، بدلا من الاكتفاء بتوقيع الاتفاق، خصوصا أن التجارب السابقة أظهرت أن معظم التفاهمات اللبنانية الإسرائيلية كانت تتعثر عند مرحلة التطبيق.

وفي الشق السياسي، أكد عيسى أن الزيارة المرتقبة للرئيس اللبناني جوزيف عون إلى واشنطن، بدعوة من الرئيس الأميركي دونالد ترامب، تكتسب أهمية خاصة في الظرف الراهن، لأنها تعكس اهتمام الإدارة الأميركية بإعادة تثبيت الاستقرار في لبنان، ودعم مؤسسات الدولة، وفي مقدمتها الجيش اللبناني.

وكان مصدر لبناني رفيع قد كشف، الأربعاء، أن عون سيتسلم رسميا الدعوة الأميركية خلال لقائه السفير الأميركي، في خطوة ينظر إليها على أنها مؤشر على رغبة واشنطن في تعزيز التواصل المباشر مع القيادة اللبنانية خلال المرحلة المقبلة.

وخلال اجتماعه مع عيسى شدد الرئيس اللبناني على ضرورة تثبيت وقف إطلاق النار، وممارسة ضغوط جدية على إسرائيل لوقف القصف وأعمال التجريف والتفجير التي تنفذها في عدد من القرى الجنوبية، والالتزام الكامل بما ورد في اتفاق الإطار.

وتشير الإحصاءات الرسمية اللبنانية إلى أن العمليات العسكرية الإسرائيلية المستمرة منذ الثاني من مارس 2026 أسفرت عن مقتل أكثر من أربعة آلاف وثلاثمئة شخص، وإصابة أكثر من اثني عشر ألفا، إضافة إلى نزوح ما يزيد على مليون لبناني، ما يجعل تثبيت التهدئة أولوية ملحة بالنسبة للحكومة اللبنانية.

وفي المقابل، بدا أن التصريحات الأميركية المتفائلة بشأن مستقبل الاتفاق لا تحظى بالتأييد الكامل داخل الحكومة الإسرائيلية.

فبعد ساعات من تأكيد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، خلال مشاركته في قمة حلف شمال الأطلسي في أنقرة، اعتقاده بأن إسرائيل ستنسحب من لبنان تنفيذا للاتفاق، خرج وزير الدفاع الإسرائيلي يسرائيل كاتس بتصريحات حملت نبرة مغايرة.

سكان شرق غزة في مواجهة تمدد «الخط الأصفر»

غزة - ضاق صدر سكان الأحياء الشرقية لمدينة غزة من تعمد الجيش الإسرائيلي توسيع نطاق ما يعرف بـ"الخط الأصفر"، ما دفعهم للخروج والاحتجاج في محاولة لإيصال صوتهم إلى المجتمع الدولي.

ونظم فلسطينيون من سكان الأحياء الشرقية، الخميس، وقفة احتجاجية، مؤكدين تمسكهم بأراضيهم ومطالبين بانسحاب الجيش الإسرائيلي والالتزام باتفاق وقف إطلاق النار.

وشارك في الوقفة، التي أقيمت في ميدان فلسطين (الساحة) شرقي مدينة غزة، سكان من أحياء الزيتون والشجاعية والتفاح، ورفعوا لافتات ورددوا هتافات تطالب بوقف التوسع الإسرائيلي في المنطقة الشرقية.

ويُقصد بـ"الخط الأصفر" خط الفصل الذي انسحب إليه الجيش الإسرائيلي ضمن ترتيبات المرحلة الأولى من الخطة الأميركية لإنهاء الحرب على غزة، والتي دخلت حيز التنفيذ في أكتوبر 2025، إلا أن تل أبيب لم تلتزم بها.

ومنذ بدء سريان وقف إطلاق النار قتل الجيش الإسرائيلي وأصاب عشرات الفلسطينيين بدعوى محاولتهم اجتياز هذا الخط.

ويواصل الجيش الإسرائيلي إزاحة المكعبات دوريا باتجاه الغرب، في خطوة توسع المنطقة التي يسيطر عليها على حساب الأراضي الفلسطينية، حيث بات يسيطر على 70 في المئة من مساحة القطاع.

وقال رئيس تحالف منظمات المجتمع المدني الفلسطيني تيسير محيسن، للأناضول، إن الوقفة تهدف إلى "رفع صوت سكان المناطق الشرقية أمام المجتمع الدولي، للتعبير عن غضبهم ورفضهم لإجراءات الاحتلال الإسرائيلي المتمثلة بتحريك ما يسمى بالخط الأصفر باتجاه الغرب".

وأضاف محيسن أن هذه الإجراءات "تدفع آلاف الأسر إلى النزوح مجددا نحو قلب مدينة غزة، بما يزيد من معاناة السكان ويضاعف مأساة النزوح والتشرد".

وأشار إلى أن المواقع العسكرية الإسرائيلية المنتشرة داخل المنطقة تطلق النار بشكل متكرر على الفلسطينيين. وأوضح محيسن أن ذلك أدى إلى مقتل "عشرات، بل مئات" من سكان الأحياء الشرقية.

وأضاف أن شارع صلاح الدين، الممتد من جنوب قطاع غزة إلى شماله، "أصبح شارع الموت بالنسبة إلى سكان المناطق الشرقية، نتيجة إطلاق النار المتواصل على كل من يقترب منه".

من جانبه، قال عضو اللجنة الوطنية للعشائر في قطاع غزة حامد جندية، إن الوقفة جاءت رفضا لما وصفه بـ"الخطوط المصطنعة التي يرسمها الاحتلال من أجل قضم مزيد من الأراضي".

وأضاف جندية أن "الخط الأصفر يشمل معظم المناطق الشرقية، وأن عددا من المواطنين قتلوا بمحاذاته رغم وجودهم إلى الغرب منه".

وأكد تمسك سكان الأحياء الشرقية بحقهم في أراضيهم، مطالبًا بانسحاب الجيش الإسرائيلي من جميع المناطق التي تقدم إليها، والالتزام الكامل ببنود اتفاق وقف إطلاق النار، وعدم فرض أي واقع جديد على الأرض.

ويعيش مئات الآلاف من الفلسطينيين في خيام ومراكز إيواء مؤقتة بمختلف أنحاء قطاع غزة، بعدما دمرت الإبادة الإسرائيلية منازلهم أو ألحقت بها أضرارا جسيمة، ما أجبرهم على النزوح المتكرر واللجوء إلى مخيمات تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة والخدمات الأساسية.

ويتعرض سكان غزة لاستهداف ممنهج من قبل إسرائيل، حيث قتل، الخميس، ثلاثة أشخاص في غارتين جويتين استهدفت إحداهما فناء منزل في منطقة بطن السمين غربي خان يونس، والثانية ضربت مركبة مدنية في حي الرمال غربي مدينة غزة.

ووفق بيانات وزارة الصحة في غزة، أسفرت الخروقات الإسرائيلية منذ بدء وقف إطلاق النار عن مقتل 1092 فلسطينياً وإصابة 3 آلاف و507 آخرين، معظمهم من الأطفال والنساء.

ومنذ 8 أكتوبر 2023، قُتل أكثر من 73 ألف فلسطيني وأصيب ما يزيد على 173 ألفا، إضافة إلى الدمار الواسع الذي طال 90 في المئة من البنية التحتية المدنية.

في غياب رادع.. الخروقات الإسرائيلية مستمرة

وسط دعوات للانتقام.. الإيرانيون يواكبون خامنئي في وداعه الأخير

مراسم حولتها القيادة الإيرانية إلى استعراض للقوة

مشهد (إيران) - توافد إيرانيون بأعداد هائلة، الخميس، إلى مشهد للمشاركة في وداع آية الله علي خامنئي، وسط مناداة المشيعين بالانتقام للمرشد الأعلى الراحل الذي قضى في أولى الضربات الأميركية – الإسرائيلية على الجمهورية الإسلامية هذا العام.

ومع وصول النعش إلى المطار على متن طائرة مدنية واكبتها طائرة مقاتلة، كانت حشود غفيرة في انتظاره وسط حرارة خانقة، في مشهد يمثل المحطة الأخيرة من مراسم تأبين أرادتها القيادة الإيرانية الجديدة استعراضا للقوة والوحدة.

واحتشدت نساء من مختلف الأعمار بعباءاتهن السوداء على طول الجادة المؤدية إلى مرقد الإمام علي الرضا، أقدس المواقع لدى الشيعة في إيران. وفي هذا الصرح المهيب المزدان بالبلاط متعدد الألوان والذي تعلوه قبة ومئذنة ذهبيتان، سيُوارى جثمان المرشد الأعلى الثرى.

وكان خامنئي قد لقي حتفه في ضربة أميركية–إسرائيلية في 28 فبراير عن 86 عاما، بعدما قاد الجمهورية الإسلامية لما يقرب من 37 عاما. أما نجله وخليفته مجتبى خامنئي فلم يظهر علنا منذ تعيينه في مارس، ولم يصدر أي بيان باسمه منذ بدء المراسم في طهران السبت.

وكان المرشد الجديد البالغ 56 عاما قد تعرّض لإصابة في القصف، وتقتصر تصريحاته المعلنة على بيانات تُنسب إليه. وتقام مراسم الدفن على وقع تبادل متجدد للقصف بين واشنطن وطهران، على خلفية هجمات على سفن في مضيق هرمز نُسبت إلى الجمهورية الإسلامية، وذلك رغم مذكرة التفاهم التي نصت على وقف إطلاق النار في منتصف يونيو.

وشنت الولايات المتحدة ضربات جديدة ضد إيران ليل الأربعاء–الخميس، في حين قالت إيران إنها ردت باستهداف مواقع في الكويت وقطر والبحرين.

وتسبب القصف في تعليق خدمات السكك الحديد بين طهران ومشهد المدينة الواقعة على بعد نحو 800 كيلومتر شرق العاصمة، بالقرب من الحدود مع تركمانستان، وفق ما ذكرته شركة السكك الحديد في تصريحات أوردها التلفزيون الرسمي الخميس. وتحدثت الشركة عن ترتيبات لنقل الركاب العالقين برا.

ونددت إيران بهذا الاستهداف واصفة إياه بأنه "جريمة حرب". وبالقرب من الضريح يوجد الكثير من الأطفال الذين أتوا مع أهاليهم، مرتدين قبعات تحمل ألوان علم الجمهورية الإسلامية.

ويقول محمد أفشاريان، وهو صاحب متجر يبلغ 41 عاما، "الجميع هنا ينشدون الانتقام. لا أعرف ما يجري على الصعيد الدبلوماسي، أو ما إذا كان قد تقرر المضي قدما في ذلك المسار، لكن الجميع يرفعون رايات حمراء تعبيرا عن رغبتهم في الانتقام".

> مع وصول النعش على متن طائرة مدنية واكبتها طائرة مقاتلة، كانت حشود غفيرة في انتظاره وسط حرارة خانقة

وعند مدخل فندق يحمل اسم "ميامي"، عُلّقت لافتة ضخمة تحمل رسما كاريكاتيريا لترامب، مع مكافأة مالية لمن ينجح في القضاء عليه. وفي الجوار يسير أحد المشاركين في التشييع حاملا لافتة تُظهر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وإلى جانبه عبارة باللغة الإنجليزية تقول "ستُسفك الدماء".

ومع تزايد كثافة الحشود، يعمد متطوعون وعمال إنقاذ إلى رش المياه في محاولة لتخفيف وطأة الحر عن المشيعين. في هذه الأثناء، يثير أحد المنشدين حماسة الحشود بشعارات دينية يرددونها بصوت واحد، في انتظار بدء المراسم.

وسيؤم المصلين آية الله حسين نوري همداني، البالغ 101 عام، وهو شخصية محافظة بارزة في الجمهورية الإسلامية. وبذلك، تُتوج مراسم تشييع استمرت ستة أيام وشهدت مواكب جنائزية في عتبات شيعية بارزة في إيران والعراق المجاور.

وكانت نعوش خامنئي وأفراد عائلته سُجيت بدءا من الجمعة في مصلى طهران الكبير حيث ألقت وفود رسمية وحشود غفيرة التحية عليها، قبل أن ينطلق الاثنين موكب جنائزي شقّ طريقه وسط طهران، ضمن حشود من الناس متشحة بالسواد وحاملة رايات حمراء تدعو للثأر.

ترامب في دائرة التحريض

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

الحرب أم العقوبات.. أيهما غيّر سلوك إيران فعلا؟

الضغوط الاقتصادية دفعت طهران إلى التفاوض بينما عززت الحرب نفوذ المتشددين ورفعت كلفة المواجهة على الجميع

بعد سنوات من العقوبات الاقتصادية، ثم أشهر من المواجهة العسكرية المباشرة، باتت واشنطن أمام حصيلة متناقضة؛ إذ ألحقت الحرب أضرارا كبيرة بالقدرات الإيرانية، لكنها لم تدفع النظام إلى تقديم تنازلات جوهرية. ويعيد ذلك طرح سؤال محوري: هل يحقق الردع العسكري ما تعجز عنه الضغوط الاقتصادية، أم أن القوة الخشنة تعزز منطق المواجهة الذي تتغذى عليه إيران؟

واشنطن - أعاد التصعيد العسكري الأخير بين الولايات المتحدة وإيران إحياء نقاش قديم داخل المؤسسات السياسية والأمنية الأميركية بشأن جدوى الأدوات المستخدمة في التعامل مع الجمهورية الإسلامية. فبعد أكثر من أربعة عقود من العقوبات والضغوط العسكرية والعمليات السرية، لا يزال السؤال نفسه مطروحا: أي السياسات أكثر قدرة على تغيير السلوك الإيراني، الحرب أم العقوبات؟

وتزداد أهمية هذا السؤال بعد المواجهة العسكرية التي شهدها عام 2026، والتي مثلت واحدة من أخطر محطات الصراع بين البلدين منذ الثورة الإيرانية عام 1979. فرغم الضربات الواسعة التي استهدفت منشآت عسكرية ونووية وبنى تحتية حساسة، فإن النتائج السياسية لم تكن بحجم المكاسب العسكرية، وهو ما دفع عددا متزايدا من الباحثين إلى إعادة تقييم فاعلية الخيار العسكري مقارنة بسياسة الضغوط الاقتصادية.

> تغيير سلوك إيران لا يعتمد على أداة واحدة، بل على مزيج من الضغوط الاقتصادية والدبلوماسية والردع العسكري

وخلال العقود الماضية اعتمدت الإدارات الأميركية المتعاقبة مزيجا من العقوبات الاقتصادية والردع العسكري بهدف الحد من النفوذ الإيراني، ومنع طهران من امتلاك قدرات نووية عسكرية، وتقليص دورها الإقليمي. لكن التجربة أظهرت أن تأثير كل أداة يختلف باختلاف البيئة السياسية والأهداف المرجوة، وأن النجاح العسكري لا يترجم بالضرورة إلى مكاسب إستراتيجية دائمة.

فعلى المستوى العسكري، نجحت الولايات المتحدة وإسرائيل في توجيه ضربات مؤلمة للبنية العسكرية الإيرانية، واستهداف قيادات بارزة في المؤسستين العسكرية والأمنية، إضافة إلى إلحاق أضرار بعدد من المنشآت المرتبطة بالبرنامجين النووي والصاروخي. كما أظهرت الحرب تفوقا تقنيا واستخباراتيا واضحا في تنفيذ عمليات دقيقة داخل العمق الإيراني.

لكن هذه الإنجازات بقيت ذات طابع تكتيكي أكثر منه إستراتيجيا. فالبرنامج النووي لم يُقضَ عليه بصورة نهائية، كما لم تفقد إيران قدرتها على إعادة بناء جزء من بنيتها العسكرية أو استعادة تماسك مؤسساتها الأمنية. والأهم من ذلك أن القيادة الإيرانية لم تبدِ استعداداً لتغيير خياراتها الأساسية، بل تعاملت مع الحرب باعتبارها دليلا إضافيا على صحة خطابها القائم على ضرورة تعزيز القدرات الدفاعية والتمسك بأوراق الردع.

بل إن الحرب منحت التيار المحافظ داخل النظام الإيراني زخما سياسيا جديدا. فالمتشددون الذين طالما حذروا من أن الولايات المتحدة لا تستهدف البرنامج النووي فقط، بل تسعى إلى تغيير النظام نفسه، وجدوا في المواجهة العسكرية ما يعزز حججهم أمام الرأي العام ومؤسسات الدولة.

وانعكس ذلك في تراجع نفوذ الأصوات التي كانت تدعو إلى الانفتاح على الغرب أو الرهان على التسويات الدبلوماسية، مقابل صعود خطاب يعتبر أن امتلاك المزيد من أدوات الردع هو الضمان الوحيد لمنع تكرار الهجمات مستقبلاً.

كما دفعت الحرب إيران إلى توسيع دائرة الرد، ليس فقط عبر الوسائل العسكرية التقليدية، وإنما باستخدام أدوات الضغط الاقتصادي والجيوسياسي. فقد تصاعدت التهديدات المتعلقة بحركة الملاحة في مضيق هرمز، وارتفعت المخاطر التي تواجه صادرات الطاقة، الأمر الذي انعكس سريعاً على أسعار النفط وتكاليف الشحن والتأمين.

ولم تقتصر تداعيات ذلك على دول الخليج، بل امتدت إلى الاقتصاد العالمي، حيث واجهت الأسواق اضطرابات في سلاسل الإمداد وارتفاعاً في تكاليف النقل والطاقة، وهو ما زاد الضغوط التضخمية على الاقتصادات المستوردة للطاقة، وأعاد التأكيد على أن أي مواجهة واسعة مع إيران تتجاوز حدود المنطقة لتصبح أزمة دولية.

وفي المقابل يستند المدافعون عن سياسة العقوبات إلى تجربة مختلفة. فمنذ تشديد العقوبات الأميركية والأوروبية، تعرض الاقتصاد الإيراني لضغوط غير مسبوقة، شملت انخفاض صادرات النفط، وتراجع قيمة العملة المحلية، وارتفاع معدلات التضخم، وتقلص الاستثمارات الأجنبية، فضلاً عن تآكل القدرة الشرائية للمواطنين.

ورغم أن هذه الضغوط لم تؤد إلى انهيار النظام، فإنها قلصت هامش المناورة الاقتصادية أمام الحكومة الإيرانية، وأضعفت قدرتها على تمويل مشاريعها الإقليمية بالمستويات السابقة، كما فرضت على صناع القرار البحث عن منافذ لتخفيف العزلة الاقتصادية.

ويستشهد أنصار هذا الرأي بالتجربة التي قادت إلى توقيع الاتفاق النووي عام 2015، إذ إن العقوبات الواسعة، مقرونة بوجود مسار تفاوضي واضح، دفعت إيران إلى القبول بقيود على برنامجها النووي مقابل رفع تدريجي للعقوبات.

ورغم الخلافات التي أحاطت بالاتفاق، فإنه نجح في تجميد أجزاء مهمة من البرنامج النووي الإيراني، وأخضع المنشآت لرقابة دولية مشددة، بما وفر قدرا من الطمأنينة بشأن منع الانتشار النووي خلال فترة سريان الاتفاق.

غير أن هذا المسار تعرض لانتكاسة بعد انسحاب إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب من الاتفاق عام 2018 واعتماد سياسة "الضغط الأقصى". فالعقوبات بقيت قائمة، لكنها فقدت أحد أهم عناصر فاعليتها، وهو وجود أفق سياسي واضح يربط الضغوط الاقتصادية بإمكانية الحصول على مكاسب دبلوماسية.

ومنذ ذلك الحين دخلت العلاقة بين الطرفين في دائرة تصعيد متبادل، تخللتها هجمات بحرية وعمليات استهداف متبادلة وارتفاع مستويات تخصيب اليورانيوم، وصولاً إلى المواجهة العسكرية الأخيرة التي أعادت المنطقة إلى منطق القوة بدلاً من منطق التفاوض.

ويرى عدد من المحللين أن الحرب كشفت حدود القوة العسكرية في معالجة ملف معقد كالبرنامج النووي الإيراني. فالقصف يستطيع تدمير منشآت ومعدات، لكنه لا يستطيع محو المعرفة التقنية التي راكمها العلماء الإيرانيون، ولا إنهاء الإرادة السياسية للنظام في مواصلة المشروع إذا اعتبره ضرورة إستراتيجية.

بل إن بعض التقديرات تشير إلى أن استخدام القوة قد يدفع القيادة الإيرانية إلى تسريع مساعيها للوصول إلى قدرة نووية عسكرية كاملة باعتبارها وسيلة ردع تمنع تكرار أي هجوم مستقبلي، وهو السيناريو الذي تسعى الولايات المتحدة وإسرائيل أصلاً إلى تجنبه.

في المقابل، لا تخلو العقوبات من نقاط ضعف واضحة. فقد تحمل المجتمع الإيراني الجزء الأكبر من آثارها الاقتصادية، بينما استطاعت مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية في الكثير من الأحيان الحفاظ على مصادر تمويلها عبر شبكات اقتصادية موازية، أو من خلال توسيع التعاون مع شركاء مثل الصين وروسيا.

كما أن العقوبات لم تتمكن وحدها من إنهاء البرنامج الصاروخي الإيراني، أو وقف دعم طهران لحلفائها الإقليميين، أو تغيير رؤيتها الإستراتيجية لدورها في الشرق الأوسط، وهو ما يؤكد أن الضغط الاقتصادي، رغم فاعليته، ليس أداة كافية لتحقيق جميع الأهداف الأميركية.

وتتجاوز المقارنة بين الحرب والعقوبات حجم الأضرار التي لحقت بإيران، لتشمل أيضاً الكلفة التي تحملتها الولايات المتحدة وشركاؤها. فالحرب استنزفت موارد عسكرية كبيرة، وفرضت نفقات بمليارات الدولارات، وأثرت على انتشار القوات الأميركية في مسارح أخرى، كما زادت من هشاشة أسواق الطاقة العالمية وأدخلت الاقتصاد الدولي في مرحلة جديدة من عدم اليقين.

أما العقوبات، رغم آثارها السلبية على الاقتصاد العالمي، فقد ظلت أقل كلفة من الناحية العسكرية، وأكثر قابلية للإدارة السياسية، خصوصاً عندما تقترن بقنوات تفاوض تمنح الطرف الآخر حوافز واضحة لتعديل سلوكه.

ولهذا، تتجه قناعة متزايدة داخل الأوساط البحثية الأميركية إلى أن تغيير سلوك إيران لا يمكن أن يتحقق عبر أداة واحدة، بل يحتاج إلى إستراتيجية مركبة تجمع بين الضغوط الاقتصادية والعزلة الدبلوماسية والردع العسكري المحدود، مع إبقاء باب التفاوض مفتوحا متى توفرت الظروف المناسبة.

وتشير التجربة الأخيرة إلى أن الحرب، رغم نجاحها في توجيه ضربات موجعة، لم تحقق التحول السياسي الذي كانت واشنطن تأمله، بل عززت سردية التشدد داخل إيران، ورسخت اقتناع النظام بأن امتلاك المزيد من عناصر القوة هو الضمان الأساسي لبقائه.

وفي المقابل أثبتت العقوبات أنها أكثر قدرة على التأثير في الحسابات الاقتصادية والسياسية الإيرانية عندما تقترن بمسار تفاوضي واضح، لكنها تبقى عاجزة بمفردها عن معالجة جميع مصادر التوتر بين الطرفين.

وفي ضوء ذلك، تبدو الولايات المتحدة أمام مراجعة جديدة لإستراتيجيتها تجاه إيران، في ظل استمرار الغموض بشأن مستقبل البرنامج النووي، وتنامي المنافسة الدولية، واستمرار هشاشة أمن الخليج وأسواق الطاقة. وبين الحرب والعقوبات، لا يبدو أن أيّا من الخيارين قادر بمفرده على فرض تسوية نهائية، ما يجعل إدارة الصراع، لا حسمه، هي العنوان الأرجح للمرحلة المقبلة.

القوة العسكرية تحقق مكاسب تكتيكية لا حلولاً استراتيجية

الرهان على تردّد ترامب.. كيف تلعب إيران على حافة الهاوية في مضيق هرمز؟

طهران تراهن على أن كلفة الحرب الشاملة أكبر من استعداد واشنطن لتحملها

واشنطن - تبدو إيران كأنها تخوض أخطر مراحل سياسة "اللعب على حافة الهاوية"، بعدما نقلت مركز ثقل المواجهة مع الولايات المتحدة من الملف النووي إلى مضيق هرمز، أحد أكثر الممرات البحرية حساسية في العالم. فطهران لم تعد تراهن فقط على قدرتها العسكرية، بل على حسابات الرئيس الأميركي دونالد ترامب السياسية والاقتصادية، وعلى قناعته بأن الانزلاق إلى حرب إقليمية واسعة سيحمل أثمانا تفوق المكاسب.

ويقوم هذا الرهان على فرضية إيرانية مفادها أن الإدارة الأميركية، رغم استعدادها لاستخدام القوة، لا ترغب في الانخراط في مواجهة مفتوحة قد تؤدي إلى ارتفاع أسعار النفط، وإرباك الأسواق العالمية، وتعريض الاقتصاد الأميركي لضغوط تضخمية، بما ينعكس سلبا على شعبية ترامب الداخلية.

ومن هذا المنطلق، تسعى طهران إلى ممارسة ضغوط محسوبة، عبر استهداف الملاحة أو المصالح الأميركية في الخليج بصورة لا تدفع واشنطن إلى تبني خيار الحرب الشاملة، لكنها في الوقت نفسه تمنع الولايات المتحدة من فرض قواعد اشتباك جديدة في المنطقة.

وعقب الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل في الثامن والعشرين من فبراير الماضي، خلصت القيادة الإيرانية إلى أن قدرتها على المناورة النووية أصبحت أكثر محدودية، بينما ازدادت أهمية الورقة الجيوسياسية التي يمثلها مضيق هرمز، باعتباره شريانا حيويا يمر عبره جزء كبير من تجارة النفط العالمية.

ويرى أليكس فاتانكا، الباحث في "معهد الشرق الأوسط" بالولايات المتحدة، أن طهران باتت تعتبر المضيق أهم أوراقها التفاوضية، قائلا إنها "تريد اعترافا بأن إيران تسيطر فعليا على مضيق هرمز"، مضيفا أن هذه الورقة "حلّت محل تخصيب اليورانيوم بمستويات مرتفعة لتصبح أداة المساومة الرئيسية مع الولايات المتحدة والغرب".

ويعتقد فاتانكا أن الإيرانيين ينطلقون من قناعة مفادها أن "عامل الوقت يعمل لصالحهم"، وأنهم قادرون على الصمود لفترة أطول من الفترة التي يستغرقها صمود الأميركيين، وهو ما يشكل جوهر الإستراتيجية الإيرانية الحالية.

ولا يقتصر هذا الرهان على البعد العسكري فقط، بل يمتد إلى قراءة دقيقة لطبيعة شخصية ترامب السياسية. فالرئيس الأميركي، رغم لهجته الحادة، يفضّل في الكثير من الأحيان تحقيق أهدافه عبر الضغوط الاقتصادية والصفقات السياسية أكثر من الانخراط في حروب طويلة ومكلفة. وتعتقد طهران أن هذه السمة تمنحها هامشا للمناورة، طالما بقي التصعيد ضمن مستويات يمكن احتواؤها.

ومنذ الثامن من أبريل أعلن ترامب أكثر من مرة التوصل إلى وقف لإطلاق النار مع إيران، في تصريحات أثارت استياء داخل إسرائيل، التي كانت تفضل استمرار الضغط العسكري على طهران. وفي الوقت ذاته واجهت الولايات المتحدة صعوبات في منع القوات الإيرانية من ترسيخ حضورها في محيط مضيق هرمز، بينما أدى استمرار التوتر إلى ارتفاع أسعار النفط، بما عزز المخاوف من تداعيات اقتصادية أوسع.

ورغم الاعتراض الأميركي واصلت إيران التأكيد على ما تصفه بحقها في فرض "بدل خدمات" على السفن العابرة للمضيق، كما هاجمت ما لا يقل عن ثلاث سفن تجارية، بحسب الجيش الأميركي، في رسالة مفادها أن أمن الملاحة لن يكون منفصلا عن مصالحها الأمنية والسياسية.

وجاء الرد الأميركي عبر تنفيذ ضربات عسكرية خلال يومي الأربعاء والخميس، بعد أن أعلن ترامب أن اتفاق وقف إطلاق النار لم يعد قائما، في مؤشر على هشاشة التفاهمات القائمة وسهولة انهيارها بمجرد تغير الحسابات الميدانية.

> إيران ترى أن قدرتها على تهديد الملاحة في مضيق هرمز تمنحها نفوذا مباشرا على الاقتصاد العالمي وعلى حسابات البيت الأبيض

ورغم أن مذكرة التفاهم الموقعة في السابع عشر من يونيو الماضي بين واشنطن وطهران أسهمت في إعادة فتح المضيق أمام الملاحة، فإن ذلك لم ينهِ الصراع حول من يملك حق إدارة الأمن البحري في الخليج. فإيران تسعى إلى تثبيت معادلة جديدة تجعل أي ترتيبات أمنية في المنطقة تمر عبرها، لا أن تفرضها الولايات المتحدة بصورة منفردة.

وترى نغار مرتضوي، الباحثة في "مركز السياسة الدولية"، أن إيران تحاول تحقيق توازن بالغ الدقة، فهي لا تريد حربا شاملة جديدة، لكنها في الوقت نفسه تخشى أن يؤدي الامتناع عن الرد إلى تفسيره باعتباره ضعفا، وهو ما قد يشجع خصومها على زيادة الضغوط العسكرية والسياسية.

وتقول مرتضوي إن القيادة الإيرانية ترى أن "التصعيد المدروس والمحدود" يمكن أن يعيد ترميم قوة الردع من دون تجاوز العتبة التي تؤدي إلى اندلاع حرب واسعة.

ويفسر هذا المنطق استمرار طهران في تنفيذ عمليات محدودة ومدروسة، سواء ضد الملاحة أو ضد أهداف مرتبطة بالولايات المتحدة، بهدف إبقاء حالة عدم اليقين قائمة، وإجبار واشنطن على التعامل مع إيران باعتبارها طرفا لا يمكن تجاوزه.

كما أن القيادة الإيرانية قد تكون وصلت إلى قناعة بأنها لم تعد تملك الكثير لتخسره بعد الحرب الأخيرة، التي ألحقت خسائر كبيرة ببنية النظام وانتهت بمقتل المرشد الأعلى علي خامنئي، الأمر الذي دفعها إلى تبني سياسة أكثر جرأة في استخدام أوراق القوة المتبقية.

لكن هذه الإستراتيجية لا تخلو من مخاطر كبيرة. فترامب سبق أن اتخذ قرارات عسكرية مفاجئة، وأظهر استعدادا لتغيير مواقفه بسرعة إذا رأى أن الردع الأميركي يتعرض للاهتزاز. كما أن استمرار استهداف الملاحة الدولية قد يدفع الإدارة الأميركية إلى منح إسرائيل مساحة أوسع لتنفيذ عمليات عسكرية جديدة داخل إيران.

وتزداد هذه المخاطر مع توسع دائرة المواجهة نحو دول الخليج. فقد أعلنت طهران خلال الساعات الأخيرة استهداف مواقع قالت إنها أميركية في كل من الكويت والبحرين، في خطوة تعكس محاولة نقل الضغوط إلى البيئة الإقليمية الحاضنة للوجود العسكري الأميركي.

الإيرانيون يظنون أنّهم اكتشفوا نقاط ضعف ترامب ويحاولون استثمارها

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

أداء أعمال الشركات الخليجية يختبر كلفة حرب الشرق الأوسط

النتائج الفصلية المرتقبة تكشف تفاوت تأثير الأزمة بين القطاعات مع استمرار الضغوط على البنوك والعقارات واستفادة شركات الطاقة من تقلبات الأسعار

في الأفق تختلف المؤشرات

تترقب الأسواق نتائج الشركات الخليجية باعتبارها أول مقياس حقيقي لكلفة الحرب في الشرق الأوسط على اقتصادات المنطقة، وسط توقعات بتباين الأداء بين القطاعات والدول، بينما يبقى أداء كل منها مرتبطا بمدى تعرضه لتداعيات اضطرابات مضيق هرمز واستمرار التوترات الجيوسياسية.

دبي - ستقدم الشركات في دول الخليج التي تُعد من بين أكثر المناطق تأثرا بشكل مباشر بالحرب مع إيران واحدة من أوضح الصور حتى الآن للتداعيات المالية لهذه الحرب على المنطقة عندما تبدأ في الكشف عن أرباحها للربع الثاني هذا الأسبوع.

ومن المرجح أن تكون نتائج الشركات متباينة في دول تمتد من السعودية وعمان إلى الإمارات وقطر وسط ضغوط متزايدة بفعل تباطؤ التجارة وارتفاع علاوة المخاطر.

وبينما يُنتظر أن تستفيد شركات الطاقة من ارتفاع أسعار النفط وتقلبات الأسواق، تواجه بقية القطاعات رياحا معاكسة، ما يجعل موسم الأرباح الحالي مؤشراً على قدرة اقتصادات الخليج على امتصاص تداعيات إحدى أكثر الأزمات تأثيرا في المنطقة خلال السنوات الأخيرة.

ويرى محللون أن قطاعي البنوك والعقارات هما الأكثر تأثرا نظرا للتحديات الموجودة مسبقا والتي تفاقمت بسبب تأثير الحرب على التضخم وأسعار الفائدة، في حين أن قطاع الاتصالات كان محميا بفضل العقود طويلة الأمد والطلب غير المتغير نسبيا.

طارق قاقيش

الربع الثاني سيكشف الأثر الحقيقي للحرب في المنطقة

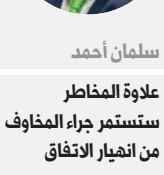

سلمان أحمد

علاوة المخاطر ستستمر جراء المخاوف من انهيار الاتفاق

فرانسيسك بالسلز

يمكن لبعض الشركات أن تتحمل صدمات من هذا النوع

وواجهت شركات الطاقة اضطرابا في الإمدادات جراء الصراع الذي اندلع قبل نحو أربعة أشهر، لكنها قد تحقق مكاسب محتملة من تقلبات الأسعار الناجمة عن إغلاق مضيق هرمز.

وقال طارق قاقيش، نائب الرئيس التنفيذي لشركة أف.أتش كابيتال للاستشارات، لوكالة رويترز "سيكشف الربع الثاني الأثر الحقيقي للحرب".

وأضاف أن الربع الأول، المتأثر جزئيا فقط بالصراع الذي اندلع في نهاية فبراير، "لم يُظهر سوى الأثر الأولي على قطاعات مثل السياحة والطيران".

وتبدو أوضاع الاقتصادات الإقليمية، والعديد منها يعتمد على تجارة النفط والغاز، مرهونة إلى حد كبير بمدى اعتمادها على مضيق هرمز، الممر البحري الوحيد إلى الخليج.

وتشير توقعات بنك أتش.إس.بي. سي إلى أن اقتصاد السعودية، التي تمتلك محطات نفطية على البحر الأحمر، سينمو 2.1 في المئة هذا العام.

وفي حين أن مؤشر سلطنة عمان، الواقعة خارج المضيق، حقق أداء جيدا، من المتوقع أن تشهد الإمارات وقطر والكويت، التي تعتمد على المضيق لشحن صادراتها، انكماشا.

ورجح سلمان أحمد، الرئيس العالمي للاقتصاد الكلي وتخصيص الأصول الإستراتيجية في شركة فيديليتي إنترناشونال، أن تستمر علاوة المخاطر إلى حد ما بسبب المخاوف من انهيار الاتفاق المؤقت جراء تجدد الهجمات، مشيرا إلى سيطرة إيران على المضيق.

وقال الرئيس الأميركي دونالد ترامب الأربعاء إن الاتفاق المؤقت مع إيران "انتهى" بعد أن شنت طهران هجمات جديدة على قواعد أميركية في الخليج.

وأفاد محللو ستاندرد آند بورز غلوبال ريتنجز بأنه "من شأن أي صدمة أخرى في الثقة أن تزيد المخاطر التي تواجهها الشركات المعرضة لتقلبات الطلب على السلع الاستهلاكية والخدمات".

ومن المتوقع أن تظل أرباح النفط والغاز قوية إذ تعوض أسعار الطاقة المرتفعة جزئيا تأثير الإمدادات التي عرقلتها الأضرار والاضطرابات.

ورفع بنك أتش.أس.بي.سي توقعاته لسعر خام برنت إلى 95 دولارا للبرميل لعام 2026، ويقدر متوسط الأسعار في الربع الثاني بنحو 114 دولارا.

وفي حين تمكنت السعودية من الحفاظ على تدفق الصادرات عبر البحر الأحمر، عانى قطاع الغاز في الإمارات. وتوقعت شركة أدنوك للغاز انخفاضا بنسبة 19 في المئة تقريبا على أساس سنوي في مبيعات الغاز المحلية بسبب واقعة في أحد مصانعها.

وفي قطاع الاتصالات أظهرت شركات المنطقة، مثل شركة الاتصالات السعودية (أس.تي.سي) وموبايلي في السعودية ومجموعة الإمارات للاتصالات إي.آند، قدرتها على الصمود.

وسيعكس القطاع الاستهلاكي، بما يشمل أنشطة البيع بالتجزئة والسياحة، تداعيات الاضطراب على الرغم من أن ارتفاع الاستهلاك المنزلي أعطى دفعة لبعض الشركات.

وارتفع سهم شركة طلبات لتوصيل الطعام في دبي بأكثر من 60 في المئة خلال الأشهر الثلاثة الماضية. وفي غضون ذلك صار حجم الرحلات الجوية لشركات الطيران الخليجية قريبا من مستوياته الطبيعية.

وتتصدر البنوك والعقارات الخسائر. وقالت إلينا سانشيز-كابيزودو رئيسة أبحاث أسهم القطاع المالي لدى أي.أف. جي هيرميس إن "من المتوقع أن تسجل البنوك في الخليج تراجعات محدودة في أرباح الربع الثاني مقارنة بالربع السابق".

وعزت ذلك إلى انخفاض إيرادات الرسوم المرتبطة بتراجع تمويل التجارة وتباطؤ الإنفاق عبر بطاقات الائتمان على السفر الدولي.

وأضافت لرويترز أن "هذا التراجع يعكس جزئيا الأداء القوي خلال يناير وفبراير مقارنة بالربع الثاني الذي شهد صراعا امتد طوال أشهره الثلاثة".

وأشارت إلى أن الجهات المقرضة أظهرت متانة بفضل الوفرة الكبيرة في السيولة داخل القطاع.

وذكرت ستاندرد آند بورز غلوبال ريتنجز أن الجهات المقرضة في المنطقة تتمتع "بهياكل تمويل مستقرة"، لكنها أشارت إلى أن الضبابية المرتبطة بالحرب من المرجح أن تبطئ وتيرة نموها.

ورفعت بعض البنوك الإماراتية ودائعها من خلال رفع أسعار الفائدة المقدمة للمدخرين الجدد.

وفي الوقت نفسه بدأت أسواق العقارات في الإمارات، بعد سنوات من الازدهار، تظهر مؤشرات على تعرضها لضغوط. وحذر محللون من مخاطر قد تطال تدفقات المقيمين الأجانب والطلب المرتبط بالسياحة إذا استمر التوتر.

واتخذ بعض المطورين العقاريين إجراءات للحفاظ على السيولة، منها خفض توزيعات الأرباح أو تأجيل صرفها.

وذكر بنك سيتي في مذكرة أن مبيعات الوحدات السكنية في دبي خلال الربع الثاني جاءت "أقل بكثير من مستويات ما قبل الصراع"، مشيرا إلى تراجع مماثل في أبوظبي، وإن كان بوتيرة أقل حدة. ومن أبرز شركات القطاع في المنطقة إعمار العقارية والدار العقارية.

وأبدى فرانسيسك بالسلز، كبير مسؤولي الاستثمار لديون الأسواق الناشئة في شركة إدارة الاستثمارات فيم بارتنرز، نظرة أكثر تفاؤلا.

أبوظبي تعيد هيكلة أحدث صناديقها السيادية لاقتناص الصفقات الكبرى

أبوظبي - يخضع صندوق لِعماد القابضة، أحدث الصناديق السيادية المملوك لحكومة أبوظبي، لعملية إعادة هيكلة واسعة تشمل كوادره التنفيذية ومحفظته الاستثمارية، في خطوة تستهدف تعزيز دوره في إبرام الصفقات الكبرى داخل الإمارات وخارجها.

ويعمل الصندوق، الذي يشرف عليه ولي عهد أبوظبي الشيخ خالد بن محمد بن زايد آل نهيان وتبلغ قيمة أصوله نحو 300 مليار دولار، مع شركة بوسطن كونسلتينغ غروب لاستقطاب قيادات تنفيذية جديدة.

ويأتي ذلك بالتزامن مع مراجعة عدد من المناصب وإعادة تقييم الهيكل الإداري عقب دمجه مع شركة القابضة أي.دي.كيو في وقت سابق من العام، بحسب مصادر مطلعة على الأمر تحدثت إلى وكالة بلومبيرغ.

وتشمل المراجعة إعادة التقدم لشغل بعض المناصب من قبل مسؤولين انتقلوا من أي.دي.كيو إلى الكيان الجديد، في إطار مساع لتبسيط الهيكل الإداري وإزالة التداخل بين المسؤوليات، بما يتيح للصندوق التحرك بوتيرة أسرع في تنفيذ استثماراته.

وتوفر هذه التحركات مؤشراً على الكيفية التي تعيد بها أبوظبي صياغة منظومة صناديقها السيادية، إذ ورث لِعماد بعد دمجه مع القابضة محفظة واسعة تضم أصولاً تمتد من حصص في شركات عالمية إلى استثمارات إستراتيجية داخل الإمارة.

وإلى جانب ذلك، يتمتع بتفويض أوسع يشمل قيادة استثمارات في قطاعات الدفاع والبنية التحتية، فضلاً عن تنفيذ صفقات في الولايات المتحدة والصين.

ويرى خبراء أن إعادة الهيكلة تمثل رسالة إلى بنوك الاستثمار العالمية وشركات الملكية الخاصة بشأن توجهات الإدارة الجديدة بقيادة الشيخ خالد بن محمد والرئيس التنفيذي جاسم الزعابي، مع سعي الصندوق إلى تعزيز حضوره بين أكبر المستثمرين السياديين عالمياً.

> **300**
> مليار دولار حجم صندوق لِعماد القابضة الذي تأسس في يناير الماضي، وفق البيانات الرسمية

وبحسب المصادر، التي لم تذكر بلومبيرغ هويتها، تمتد عملية إعادة التنظيم إلى الجوانب الاستثمارية والتشغيلية، وقد تنعكس على عدد من الوظائف داخل المؤسسة، ما يولد حالة من الترقب بين الموظفين. كما سيدفع شركاء القابضة أي.دي.كيو التقليديين إلى إعادة بناء علاقاتهم مع مراكز القرار الجديدة داخل لِعماد.

وكانت القابضة تحت إدارة الشيخ طحنون بن زايد، الذي يشرف أيضا على جهاز أبوظبي للاستثمار، أكبر صندوق سيادي خليجي، والذي يدير أصولاً بقيمة 1.19 تريليون دولار، وشركة أم.جي.إكس.

وفي إطار إعادة الهيكلة يساعد مستشارو بوسطن كونسلتينغ غروب الصندوق في استقطاب مسؤولين تنفيذيين كبار عبر عملية اختيار متعددة المراحل، تنتهي بمقابلات مع المدير المالي سامر خليفة أو رئيس الاستثمار هاشم الدباس، وفقاً للمصادر.

كما يسعى الصندوق الذي تأسس في يناير الماضي إلى تعيين رئيس تنفيذي لشركة لِعماد كابيتال، الذراع المنتظر أن تقود استثماراته في الأسواق العالمية، في خطوة تعكس رغبة أبوظبي في تعزيز حضورها المباشر في الأسواق الدولية.

> **إعادة الهيكلة تمثل رسالة إلى المستثمرين العالميين بشأن توجهات الإدارة الجديدة بقيادة الشيخ خالد بن محمد**

ويأتي هذا التحول في وقت تعمل فيه بوسطن كونسلتينغ غروب على توسيع حضورها في المنطقة بعد مشاركتها في عدد من مشاريع إعادة هيكلة الاقتصادات الخليجية، وفي مقدمتها برامج التحول في السعودية، إضافة إلى تعاونها مع صندوقها السيادي.

وأشار أحد المطلعين إلى أن لِعماد يركز بصورة خاصة على توسيع حضوره في الولايات المتحدة، إذ استقطب خلال الأشهر الأخيرة عدداً من التنفيذيين القادمين من مؤسسات مالية كبرى في وول ستريت، بينما امتنع ممثلو الصندوق والشركة الاستشارية عن التعليق.

وتندرج هذه الخطوات ضمن إستراتيجية أوسع تنتهجها أبوظبي منذ سنوات لإعادة هيكلة مؤسساتها الاستثمارية عبر دمج الكيانات المتشابهة في مؤسسات أكبر وأكثر كفاءة.

وكان أبرز هذه التحولات عام 2017، عندما دُمجت مبادلة للتنمية مع الاستثمارات البترولية الدولية لتأسيس مبادلة للاستثمار، في صفقة جمعت أصولاً تقارب 125 مليار دولار بهدف تبسيط المحافظ الاستثمارية وخفض التكاليف وتعزيز القدرة التنافسية العالمية.

كما عززت حكومة الإمارة هذا النهج بنقل مجلس أبوظبي للاستثمار إلى مبادلة، قبل أن تمضي لاحقاً في دمج القابضة أي.دي.كيو ضمن لِعماد، في إطار رؤية تقوم على تركيز الأصول السيادية في عدد محدود من المؤسسات الكبرى ذات الاختصاصات الواضحة.

ويأتي ذلك بالتوازي مع توسع صناديق سيادية أخرى في الإمارة، إذ يعمل مجلس أبوظبي للاستثمار، الذي يدير محفظة بنحو 160 مليار دولار، على تعزيز استثماراته في الأسواق الثانوية والائتمان الخاص والتأمين وصناديق التحوط.

طفرة تصديرية ترسخ مكانة الصين قوة عالمية في صناعة السيارات

بكين - مع تراجع الطلب المحلي واحتدام المنافسة داخل السوق الصينية، تواصل شركات صناعة السيارات في أكبر سوق في العالم توجيه بوصلتها نحو الأسواق الخارجية، مستفيدة من الطلب المتزايد على السيارات الكهربائية.

ويرى الخبراء أن هذه الإستراتيجية تعزز حضورها هذه الفئة من المركبات المنتجة في ثاني أكبر اقتصاد في العالم، لكنها في الوقت نفسه تزيد من حدة التوترات التجارية مع الاقتصادات الغربية.

أسطول ضخم يغزو الأسواق

وأظهرت بيانات جمعية مصنعي السيارات الصينية الصادرة الخميس، أن صادرات سيارات الركاب ارتفعت بنسبة 80 في المئة خلال يونيو مقارنة بالشهر نفسه من العام الماضي.

وتشير الأرقام إلى بلوغ حجم الصادرات نحو 905 آلاف سيارة الشهر الماضي، مقابل 809 آلاف سيارة في مايو، في استمرار لموجة النمو التي يشهدها القطاع منذ بداية العام.

كما قفزت صادرات سيارات الركاب خلال النصف الأول من عام 2026 بنسبة 72 في المئة على أساس سنوي، متجاوزة 4.4 مليون سيارة، في مؤشر على نجاح الشركات الصينية في تعويض تباطؤ السوق المحلية عبر تعزيز وجودها في الأسواق الدولية.

ورغم هذا الأداء القوي في التصدير، لا تزال السوق الصينية تواجه تحديات كبيرة، إذ انخفضت مبيعات سيارات الركاب محليا بنسبة 26 في المئة في يونيو.

وبلغت المبيعات الإجمالية خلال الأشهر الستة الأولى من العام نحو 8.3 مليون سيارة، منها قرابة 1.5 مليون سيارة في يونيو وحده.

ويعزو محللون هذا التراجع إلى استمرار الركود في قطاع العقارات، الذي أضعف ثقة المستهلكين وأثر في إنفاق الأسر، إضافة إلى احتدام حرب الأسعار بين الشركات المصنعة، وتقليص بعض برامج الدعم الحكومي المخصصة لشراء السيارات الكهربائية.

وقد دفع هذا الوضع الكثير من المستهلكين الصينيين إلى تأجيل قرارات الشراء انتظارا لمزيد من الانخفاض في الأسعار.

وتوقعت شركة أليكس بارتنرز الاستشارية انخفاض مبيعات السيارات الخفيفة في الصين بنسبة 10 في المئة خلال عام 2026، معتبرة أن الضغوط السعرية وتغير سلوك المستهلكين سيواصلان الضغط على السوق المحلية.

وتواصل الشركات الصينية، وفي مقدمتها بي.واي.دي، تسريع توسعها الدولي عبر زيادة الصادرات وإنشاء مصانع إنتاج في أسواق إستراتيجية، بهدف تقليل تكاليف التصدير والالتفاف على القيود التجارية، فضلاً عن تحسين هوامش الربح.

ويرى محللون أن هذه الإستراتيجية تمثل تحولا مهما في نموذج أعمال شركات السيارات الصينية، التي أصبحت تعتمد بصورة متزايدة على الطلب الخارجي لتعويض تباطؤ النمو داخل البلاد.

ستيفن تشان

نمو المبيعات مدفوع بالتوسع في الأسواق الناشئة والمتقدمة

ونسبت وكالة أسوشيتد برس إلى ستيفن تشان، المحلل في وكالة ستاندرد آند بورز للتصنيفات الائتمانية، قوله إن "صادرات سيارات الركاب الصينية مرشحة للنمو بنسبة تتراوح بين 30 و50 في المئة خلال عام 2026 مقارنة بالعام السابق".

وأضاف أن تلك المبيعات جاءت "مدفوعة باستمرار توسع الشركات في الأسواق الناشئة وبعض الأسواق المتقدمة".

وتتوقع أليكس بارتنرز أن تصل صادرات السيارات الصينية إلى 10 ملايين سيارة خلال هذا العام، مقارنة بنحو 7 ملايين سيارة في عام 2025، وهو ما يعزز مكانة الصين كأكبر مصدر للسيارات في العالم.

ويرى خبراء القطاع أن ارتفاع أسعار الوقود عقب الحرب الإيرانية قد يمنح السيارات الكهربائية دفعة إضافية في الأسواق العالمية.

وتصبح هذه المركبات أكثر جاذبية للمستهلكين مع ارتفاع تكاليف تشغيل السيارات التقليدية، وهو ما قد يدعم الطلب على الطرازات الصينية التي تتمتع بأسعار تنافسية مقارنة بالمنافسين الأوروبيين واليابانيين.

وفي الوقت نفسه تحقق العلامات التجارية الصينية تقدما في أسواق جديدة، بعدما وافقت كندا على حصة استيراد سنوية تبلغ 49 ألف سيارة كهربائية صينية برسوم جمركية منخفضة.

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

تلفزيون الفلول أم إعلام المساءلة.. معركة الهوية الإعلامية تشتعل في سوريا الجديدة

تصعيد مفاجئ ضد تلفزيون سوريا يعكس عمق التحديات التي تواجه الحريات الصحفية

أثارت تغطية تلفزيون سوريا النقدية، حملة تخوين حادة قادها مسؤولون وشخصيات مقربة من السلطة. وأعادت الحادثة فتح النقاش حول حدود النقد المسموح به وحرية الإعلام في المرحلة الانتقالية، وسط انقسام بين من يدافع عن دور الإعلام الرقابي المستقل، وبين من يرى في النقد الجريء تهديداً للاستقرار ويطالب بخطوط حمراء.

دمشق - تحول تلفزيون سوريا، الذي واكب الثورة السورية لسنوات طويلة كمنبر للصوت المعارض، فجأة إلى هدف لحملات تخوين حادة قادتها شخصيات محسوبة على السلطة.

ويأتي هذا الجدل ليعيد فتح ملف شائك حول حدود النقد المسموح به، وبنية الدولة الجديدة، والمساحة المتاحة للإعلام المستقل بعيدا عن الرقابة الشمولية التي ميزت عقودا سابقة.

ولم يكن الخلاف وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تراكمات وتغطيات حساسة قامت بها القناة في الأسابيع الأخيرة. اندلعت الشرارة الأخيرة عقب تخصيص تلفزيون سوريا تغطية موسعة ومفصلة لسلسلة انفجارات هزت العاصمة دمشق، تزامنت مع زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. ولم تقتصر التغطية على نقل الأحداث فحسب، بل شملت تحليلاً نقديا للسياق الأمني والسياسي المحيط بها.

> استخدام مصطلحات التخوين السياسي يعيد إنتاج أدوات الإقصاء، لكن هذه المرة تحت ذريعة المصلحة الوطنية

وترافق ذلك مع تبني القناة خطا تحريريا جريئا يرصد ملفات الإصلاح الداخلي، وكان أبرز ذلك الإشارة إلى ما اعتبرته "تعيين شخصيات محسوبة على الفلول أو ترتبط بانتهاكات سابقة" في مفاصل ومؤسسات حيوية حساسة.

وتعتبر جهات حكومية هذه التغطيات محاولة لزعزعة الاستقرار وتمرير سرديات تمس بمكتسبات المرحلة الانتقالية، مما أثار موجة من الردود الغاضبة في الأوساط المقربة من السلطة.

واتخذ الجدل منحىً خطيرا عندما خرج مسؤول ملف الدراما في وزارة الإعلام بهجوم علني عنيف عبر منصات التواصل الاجتماعي. وقد وصف المسؤول القناة بـ"تلفزيون الفلول"، متسقا مع اتهامات أوسع انتشرت في الفضاء الرقمي تصف موظفي القناة وصحفييها بـ"العمل ضد المصلحة الوطنية العليا".

ورغم قيام المسؤول بحذف المنشور لاحقا إلا أن الرسالة كانت قد وصلت إلى جمهور واسع، وأشعلت موجة تحريض ممنهجة أدت إلى توسيع الفجوة بين الأطراف المعنية.

وقال مسؤول ملف الدراما في وزارة الإعلام:

دلامة عماد علي

إحتراماً للسادة في وزارة الإعلام السورية وإتحاد الصحفيين الأحرار سأحذف منشوري السابق الخاص بتلفزيون سوريا
ورسالتي وكل الغيورين على دولتنا قد وصلت
وأؤكد مراراً أن تلفزيون سوريا ليس تلفزيون وطني وليس رسمي وكلمة سوريا في اسمه لاتعني أنه رسمي
ودائماً ما أكون مضطر أنا والكثير من الإخوة عشرات المرات شهرياً لتبرير هذا الجدل الحاصل بين إسمه وبين سياقات الخبرية الجدلية في قسم التحرير عنده عندما لاتكون في سياق منطقي دائماً وتضر بمكان لاتسعه الحريات الإعلامية في كل العالم

وهذا النوع من الخطاب ليس مجرد سجال إعلامي عابر، بل يعكس عودة أساليب قديمة في التعامل مع الإعلام المخالف، حيث يتم تحويل النقد المهني إلى اتهامات أمنية وسياسية تستهدف التشكيك في الولاء الوطني.

وانقسم الشارع السوري والأوساط الإعلامية إزاء هذه الحملة إلى جبهتين واضحتين. من جانبها، اعتبرت إدارة تلفزيون سوريا والعاملون فيه أن الهجوم يتجاوز السجال المهني إلى "التحريض المباشر" الذي قد يهدد حياة الكوادر الإعلامية. وشددوا على أن دور الإعلام في المرحلة الانتقالية يتمثل في المساءلة والرقابة على السلطة، وليس التبعية الشمولية، مذكرين برصيد القناة الطويل في مناهضة الاستبداد خلال سنوات الثورة.

وكتب المحلل على شاشة تلفزيون سوريا إبراهيم الجبين ردا جاء فيه:

Ibrahim Aljabin

حين تتهم Syria TV تلفزيون سوريا بأنه قناة الفلول فهذه جريمة بحق كل العاملين في التلفزيون وتطالنا جميعاً وتشكك في قيمنا وانتمائنا للثورة ومواقفنا الواضحة الداعمة للدولة وهي ليست مجرد منشور فيسبوك تحذفه وتبقيه. بل إنك بما كتبته عرّضت حياة كل من يعمل في تلفزيون سوريا للخطر بتحريضك عليهم.. والقانون فوق الجميع.

في المقابل يرى تيار سلطة الأمر الواقع ومؤيدوه أن المرحلة الحالية هي "مرحلة بناء وتثبيت دعائم الدولة"، وأن المبالغة في النقد وإثارة القضايا الأمنية الحساسة تخدم أطرافاً خارجية وتهدد السلم الأهلي. لذلك يستوجب الأمر -حسب رأيهم- وضع خطوط حمراء إعلامية لحماية الدولة الناشئة من أي انزلاقات قد تعيد البلاد إلى الفوضى.

وقالت إعلامية:

@AlaaHashemK

يمكننا الحديث كثيراً عن تحريض مسؤول حكومي على مؤسسة إعلامية واتهامها بالفلول بما قد يحتمله ذلك من تهديد لسلامة الصحفيين والإعلاميين، في سلوك يذكر بالدول الأمنية التي تكمم الأفواه وتقيد الصحافة، والتي تبث في إعلامها فيلماً وثائقياً عن تكاثر الثديات في حين تخفي متعمدة خبر يبحث عنه المواطن في الإعلام الموازي..
عموماً برأيي تغطية الدماء التي سالت اليوم أهم وأجدى من توجيه العدسات إلى نظارات ماكرون.
#تلفزيون_سوريا

ورد معلق:

@AhmadUnfiltered

بصراحة، استغربت أن يصدر هذا الكلام من شخص مثلك. نحن كسوريين كنا متوسمين فيك خيرًا، وظننا أنك ستكونين مختلفة عن بقية الوجوه في المنصات المحسوبة على @AzmiBishara
الدفاع عن حرية الصحافة حق، لكن حرية الصحافة لا تعني أن تصبح أي مؤسسة الإعلام فوق النقد. من حق السوريين أن يسألوا عن الخط التحريري، وعن الجهات التي تؤثر فيه، وعن الرسائل التي تُبث باسم سوريا.

ويكشف هذا السجال عن أزمة بنيوية عميقة تواجه الإعلام السوري اليوم. الانتقال من "إعلام الثورة" الموجه ضد عدو مشترك إلى "الإعلام المستقل" الذي يراقب أداء السلطة الوطنية الجديدة يبدو مسارا معقدا ومحفوفا بالمخاطر.

فالإعلام الذي كان أداة تعبئة وتوحيد في مواجهة النظام السابق، يجد نفسه اليوم مطالباً بتبني دور رقابي يمكن أن يُنظر إليه كتهديد من قبل من يمسكون بزمام السلطة الجديدة.

وتكمن خطورة استخدام مصطلحات مثل "الفلول" والتخوين السياسي في أنها تعيد إنتاج أدوات الإقصاء والتكميم التي مارسها النظام السابق، لكن هذه المرة تحت ذريعة "المصلحة الوطنية والاستقرار".

هذا النهج لا يهدد فقط حرية التعبير، بل يقوض الثقة في العملية الانتقالية برمتها، ويثير تساؤلات مشروعة حول طبيعة "سوريا الجديدة" التي يتم بناؤها.

ويقول صحفيون إن هذا الجدل يضع السلطات الجديدة أمام سؤال حقيقي ومصيري: هل ستتسع سوريا الجديدة للتعددية الصحفية وحرية التعبير كقيم أساسية في بناء دولة ديمقراطية، أم أن العقلية الشمولية ستحكم قبضتها على المشهد الإعلامي من جديد؟

يبقى المشهد مفتوحا على احتمالات متعددة، وسط دعوات متزايدة من فعاليات إعلامية ومدنية لضمان حماية الحريات الصحفية كركيزة أساسية لأي انتقال ديمقراطي ناجح في سوريا.

تحديات بالجملة

الأمن القومي تحول إلى سلاح ضد الصحافة

«مراسلون بلا حدود» تدق ناقوس الخطر في تقريرها الجديد

باريس - يجري بصورة متزايدة تحريف مفهوم الأمن القومي عن غايته الأصلية لتجريم الصحافة، حيث تُستخدم قوانين وُضعت لمكافحة المساس بالدفاع الوطني ضد صحفيين ينشرون معلومات تندرج في إطار المصلحة العامة.

وتشكل النزاعات المسلحة أرضاً خصبة لتوظيف الأمن القومي في سبيل السيطرة على تدفق المعلومات؛ فباسم حماية العمليات العسكرية أو الوحدة الوطنية، تُقيَّد الحكومات وصول الصحفيين إلى مناطق الحرب، وتفرض سرديات إعلامية تتماهى مع الخطاب الرسمي، وتحد من الوصول إلى المعلومات، إذ تتعدد الأمثلة وتتنوع في هذا الصدد، من فلسطين إلى السودان مرورا بإثيوبيا وروسيا.

وتغدو حرية الصحافة مهدَّدة حين تتحول التدابير الاستثنائية المعتمدة باسم الأمن القومي إلى قواعد دائمة. فقد تظل حالات الطوارئ وقوانين مكافحة الإرهاب وغيرها من التدابير الاستثنائية سارية زمنا طويلا بعد انقضاء الأزمات التي بررتها، بما يفضي إلى تقييد مستدام لحرية الصحافة. ففي كشمير الهندية، على سبيل المثال، ظل الصحفي فهد شاه رهن الاحتجاز قرابة عامين نتيجة اللجوء المتعاقب إلى عدة قوانين أمنية.

وباتت تهم الإرهاب أو الإشادة بالإرهاب من أبرز أدوات القمع باسم الأمن القومي. ففي بلدان كثيرة، يُساوى الصحفيون الذين يحققون بشأن النزاعات أو القوات المسلحة أو الجماعات المسلحة بالإرهابيين أو المتطرفين، كما هو حال الصحفية الفلبينية فرينشي ماي كومبيو التي حُكم عليها بتهمة "تمويل الإرهاب"، أو الصحفي البنيني هوغ كوملان سوسوكبي الذي استُهدف بدوره تحت ستار التعاون الأمني ومكافحة الإرهاب.

إن غياب تعريف ثابت للأمن القومي يُعرّض الصحفيين للخطر، إذ يختلف معنى "الأمن القومي" إلى حد كبير من بلد إلى آخر، في حين تعمل دول كثيرة على توسيع نطاقه، علماً أن هذه المناطق الرمادية، التي تشمل الأمن السيبراني والتضليل والدعاية والصحة العامة والقضايا البيئية، تتيح للحكومات ملاحقة الصحفيين بسبب تغطياتهم لقضايا تتجاوز بكثير المسائل العسكرية.

وحتى في زمن السلم تُوظَّف ذريعة الأمن القومي في عرقلة التحقيقات الصحفية وإخضاع الصحفيين لمراقبة تعسفية، إذ باتت التحقيقات المتعلقة بالقضايا العسكرية أو الدبلوماسية أو الدفاعية تُعامل بصورة متزايدة بوصفها اعتداءات على المصالح الجوهرية للدولة، كما هو الحال في فرنسا، حيث وُضعت أريان لافريو قيد الاحتجاز عقب كشفها عن عملية "سيرلي" العسكرية السرية بين فرنسا ومصر.

ولا تقتصر المراقبة التعسفية للصحفيين على الأنظمة السلطوية، بل تمتد إلى الديمقراطيات أيضاً. فبينما تملك الصين أكثر منظومات المراقبة تطوراً في العالم، وتحتجز أكبر عدد من الصحفيين، تتزايد في الديمقراطيات عمليات التجسس غير القانوني على الفاعلين الإعلاميين، الذين استُهدف منهم ما لا يقل عن 13 ببرنامج التجسس بريداتور في اليونان، وذلك في قضية باتت تُعتبر أكبر فضيحة تجسس تطال أهل المهنة داخل الاتحاد الأوروبي. وفي تشيلي، خضع الصحفي الاستقصائي ماوريسيو وايبل باراهونا لمراقبة غير قانونية بعد تحقيقه في قضايا فساد داخل الجيش.

كما يُوظَّف الأمن القومي في تقييد التغطية الصحفية لقضايا تندرج في إطار المصلحة العامة، مثل البيئة والصحة. فالصحفيون الذين يحققون في التلوث أو الموارد الطبيعية أو الأزمات الصحية يتعرضون للملاحقة بموجب تشريعات أمنية، إذ يُحتجز الصحفي الهندي روبش كومار سينغ بموجب قانون متعلق بمكافحة الإرهاب على خلفية تحقيقه في تداعيات التلوث الصناعي.

> الصحفيون الذين يحققون بشأن النزاعات أو القوات المسلحة أو الجماعات المسلحة يساوون في بلدان كثيرة بالإرهابيين

ويتخطى التوظيف التعسفي للأمن القومي الحدود الوطنية. فبعد مرور 25 عاماً على "الحرب العالمية على الإرهاب" التي قادتها الولايات المتحدة، باتت السياسات التي تكرّس التجاوزات في مجال الأمن القومي تنتشر على نطاق متزايد دولياً. فألهمت التشريعات القمعية المتعلقة بـ"العملاء الأجانب"، التي رسّختها روسيا، قوانين مماثلة في بلدان عدة، فيما يُستنسخ تدريجيا النموذج الصيني للسيطرة على الإنترنت، الذي يجسده الجدار الناري العظيم، في فيتنام وبورما وكمبوديا لتعزيز الرقابة باسم الأمن القومي.

وبات الأمن القومي ذريعة لتبرير القمع العابر للحدود. فباسم مكافحة "أعداء الدولة" تلاحق الأنظمة السلطوية الصحفيين في المنفى عبر أحكام غيابية وطلبات تسليم وحملات تضييق وتهديدات تستهدف أقاربهم، بل ومحاولات اغتيال. ويجسد مقتل الصحفي الكازاخستاني أيدوس ساديكوف، الذي كان منفيا في أوكرانيا بعد اتهامه بتهديد مصالح بلده، تصاعد هذا النمط من القمع.

ودعت "مراسلون بلا حدود" إلى إعادة إرساء ضوابط ديمقراطية لمواجهة هذا التوظيف المتزايد للأمن القومي. وتوصي المنظمة، على وجه الخصوص، بوضع تعريف دقيق ومُحدَّد للأمن القومي، وحماية سرية المصادر، وإخضاع صلاحيات المراقبة لضوابط، ومنع الاستخدام التعسفي لقوانين مكافحة الإرهاب ضد الصحفيين، وتعزيز الآليات الدولية لحماية حرية الصحافة.

وتقول آن بوكندي، مديرة التحرير في منظمة "مراسلون بلا حدود"، "لا يمكن أن يتحول الأمن القومي إلى ذريعة تُتيح للحكومات الفرصة لإسكات الصحفيين. فكل ملاحقة تعسفية، وكل احتجاز مجحف، وكل قانون يُحرَّف عن غايته ويُستخدم ضد الصحافة، لا يضعف حرية الإعلام فحسب، بل يقوّض أيضا حق المواطنين والمواطنات في الوصول إلى المعلومات. ذلك أن حكومات مختلف البلدان، السلطوية منها والديمقراطية، باتت تتعلم من بعضها بعضا كيفية توظيف أدوات الدولة الأمنية لمنع الصحفيين من إنجاز التحقيقات. الانحراف أصبح ممتدا على نطاق عالمي، مُبرزا أنه أضحى من المُلح إعادة التأكيد على أن الصحافة لا تشكل أبدا تهديدا للدولة، بل هي في الواقع ضمانة أمام التعسف".

مهنة في خطر

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

ترامب أهدى طهران الحبل لتشنق نفسها

أخيرا... وقعوا في قبضتي!

علي قاسم
كاتب سوري

في السياسة الدولية، الفارق بين التراجع التكتيكي والفخ الإستراتيجي يظهر فقط بعد أن تنغلق المصيدة. حين وقّع الدبلوماسيون الأميركيون والإيرانيون على مذكرة التفاهم في حزيران/يونيو الماضي، صعد المسؤولون في طهران إلى شاشات التلفزيون وأعلنوا الانتصار. رُفعت الأعلام. تبادل قادة الحرس الثوري التهاني. وصفت وسائل الإعلام الإيرانية الاتفاق بأنه "اعتراف أميركي بقوة إيران" و"إذعان لشروط الجمهورية الإسلامية". بدت الصورة مكتملة في مشهديتها الانتصارية.

لم يكن ترامب في تلك اللحظة يبتسم أمام كاميرات وسائل الإعلام الغربية. لكن من كان يقرأ بين السطور بعيدا عن تصريحاته المسرحية كان يرى شيئا مختلفا تماما: رجل أعطى خصمه حبلاً وانتظر بصبر أن يستخدمه.

في قمة الناتو التي انعقدت في أنقرة، أعلن ترامب أن مسار التفاهم مع إيران "وصل إلى نهايته". لم يكن اختيار المكان والتوقيت مصادفة، وهذا بالضبط هو مفتاح قراءة الإستراتيجية الأميركية.

الحبل الذي مُدّ لإيران لم يكن طوق نجاة بل أداة نهاية اختارت أن تشدّها بنفسها لتتحول لحظة الانتصار إلى بداية السقوط

أنقرة ليست واشنطن. إعلان كهذا من قلب حلف الناتو، وسط الحلفاء الغربيين، يحمل رسالة محكمة: واشنطن ليست وحدها، والموقف ليس أميركيًا انفراديًا بل تحالفيّ. كانت الرسالة المُشفّرة تقول لطهران: لقد أعطيناك فرصة للخروج الكريم، وأنت اخترت استخدام هذه الفرصة لتوسيع برامجك وتصعيد خطابك وفرض شروط جديدة. الآن انتهت رحلة المرونة.

التفاهمات التي أُبرمت في الأشهر السابقة كانت هشّة من اليوم الأول في مضمونها لكن صلبة في وظيفتها: لم تكن غاية في حد ذاتها، بل آلية لكشف ما ستفعله إيران حين يُمنح لها هامش من الاعتراف الدولي. هل ستُترجم التهدئة إلى تغيير سلوكي حقيقي؟ أم ستُفسّرها قيادة الحرس الثوري على أنها اعتراف بقوتها يمكّنها من المطالبة بالمزيد؟

أجابت طهران عن هذا السؤال بسلوكها أكثر مما فعلت بكلامها. خلال أسابيع من التوقيع، لم تتوقف عمليات التهديد البحري في مضيق هرمز، ولم تُجمّد الشبكات الإقليمية الموالية لها، ولم تُوقَف برامج التخصيب عند الحدود المتفق عليها. كانت طهران تفعل ما اعتادت عليه: تأخذ ما أُعطيت وتطالب بالمزيد في آن واحد.

لفهم ما جرى علينا مقاومة إغراء التفسير السطحي الذي يرى التفاهم الأميركي-الإيراني انتصارا لطهران ثم التفاجؤ بتراجع ترامب عن موقفه. هذه القراءة تُسقط من حسابها شيئا جوهريا: ترامب لا يُبرم صفقات ليُحترم، بل يُبرمها ليرى كيف يتصرف الطرف الآخر.

منذ ولايته الأولى، طوّر ترامب ومستشاروه منطقا تفاوضيا محددا: أرخ القيود قليلاً ثم راقب. الخصم الذي يُترجم التخفيف إلى ضبط نفس وانخراط جدي يُكافأ باستمرار الحوار. أما الخصم الذي يُترجم التخفيف إلى توسع وتصعيد وفرض شروط جديدة، فإنه يُوفّر لواشنطن ذريعة لا تُدحض أمام المجتمع الدولي.

هجمات الناقلات والتهديدات البحرية التي شهدها مضيق هرمز خلال فترة التفاهم لم تكن تفصيلاً في ملف ثانوي. كانت وثيقة اتهام تُكتب بطريقة إيران نفسها. كل حادثة توثّقها أجهزة الاستخبارات الأميركية والبريطانية والأوروبية أضافت سطراً إلى الملف الذي كان يُعدّ في الغرف المغلقة: طهران لا تُريد الاستقرار، بل تُريد التفاوض مع استمرار الضغط. هذا مرفوض.

ما أعطى واشنطن قوة استثنائية في هذه اللحظة هو أن الذريعة لم تكن أميركية الصنع، بل إيرانية المصدر. لم تضطر الإدارة إلى اختلاق أسباب للتراجع عن التفاهم، بل كان كافيا أن تُوثق ما تفعله طهران بنفسها. وهذا بالضبط هو مغزى الجملة: ترامب أعطاها الحبل، وطهران طوقته على عنقها بنفسها.

المشكلة الحقيقية في طريقة إدارة إيران لتفاهم حزيران/يونيو لم تكن في التفاصيل التقنية، بل في الخطأ الإستراتيجي الأعمق: النظام الإيراني بنى مصداقيته الداخلية على صورة الصمود في مواجهة الضغط الغربي، إلى درجة أنه أصبح من المستحيل عليه مؤسسيا أن يُقدّم أي اتفاق بوصفه تسوية حقيقية دون أن يُفقد قياديه هيبتهم أمام قواعدهم.

هذه الديناميكية الداخلية دفعت قيادة الحرس الثوري إلى المطالبة بشروط لا تستطيع واشنطن قبولها، وتصعيد لغة المواجهة حتى في الأسابيع الأولى من التفاهم. الخطاب الداخلي الإيراني الذي صوّر الاتفاق كانتصار كان يُصعّب على أي مسؤول إيراني بعد ذلك القبول بأي مرونة دون أن يبدو متناقضاً مع ما قيل لشعبه.

الغطاء الدبلوماسي الذي كانت تحظى به طهران من بعض القوى الأوروبية وروسيا والصين بدأ يتآكل تدريجيا. فالحليف الذي يجد صعوبة في الدفاع عن شريك يُشارك في التفاوض ويُصعّد العمليات في الوقت ذاته ليس حليفا قادرا على الدفاع بفاعلية. موسكو وبكين لهما مصالح خاصة في إبقاء إيران تحت الضغط الغربي إلى حد معين، لكنهما لا تُريدان الارتباط بعرقلة كاملة لمنظومة الأمن الدولي في منطقة حساسة.

النتيجة المباشرة لهذا كله هو أن إيران تجد نفسها اليوم في مواجهة ضغوط مزدوجة تجمع بين العسكري والاقتصادي، دون أن تمتلك من الغطاء الدبلوماسي ما يكفي لامتصاص هذا الضغط. العقوبات التي عاد ترامب إلى تطبيقها بصرامة تستهدف قطاعات النفط والبنك المركزي والمعاملات المالية الدولية. وكل يوم تستمر فيه هذه العقوبات دون تسوية يزيد من تآكل الاقتصاد الإيراني الذي كان يعاني أصلاً من هشاشة بنيوية قبل أي عقوبات.

انهيار مسار التفاهم لا تقتصر تداعياته على العلاقة الثنائية بين واشنطن وطهران. منطقة الخليج كلها تتنفس إيقاع هذا التوتر وتستشعر ارتداداته.

أسواق الطاقة أول من يُرسل إشارات القلق. خطوط الشحن في مضيق هرمز الذي يمر عبره حوالي خمسة وعشرين في المئة من تجارة النفط العالمية باتت تعكس أقساط تأمين أعلى وترددات شركات الشحن في إرسال ناقلاتها دون ضمانات أمنية إضافية. أسعار النفط تُسجّل ارتفاعات متقطعة تعكس مخاوف من اضطراب في الإمداد، وهو ضغط اقتصادي تستشعره أوروبا وآسيا قبل أن تستشعره الولايات المتحدة.

دول الخليج العربية التي كانت تُراقب مسار التفاهم بعيون قلقة وجدت في إعلان أنقرة ما يُقرّب الموقف الأميركي من هواجسها. الرياض وأبوظبي لم تُخفيا قلقهما من أن يُفضي أي تفاهم مع إيران يتجاهل الملف الإقليمي إلى اعتراف ضمني بنفوذ طهران في اليمن ولبنان والعراق. إعلان ترامب أن المسار وصل إلى نهايته جاء بعد تشاور مكثف أجرته الإدارة مع حلفائها الخليجيين، وهو ما يُعطي الخطوة الأميركية غطاءً إقليميا تفتقر إليه أي خطوة أحادية الجانب.

الحلفاء الأوروبيون في المقابل يجدون أنفسهم في موقف دقيق. الفرنسيون والبريطانيون والألمان كانوا يفضّلون استمرار الحوار مع طهران، لكن السلوك الإيراني خلال فترة التفاهم أضعف حجتهم الداخلية بأن الانخراط يُنتج تغييرا في السلوك. لم يتركهم ترامب في موقف محرج، بل وفّرت لهم إيران مادة كافية لتبرير وقوفهم إلى جانب واشنطن دون أن يبدو الأمر إذعانا للضغط الأميركي.

ثلاثة مسارات تبدو ممكنة أمام طهران في المرحلة المقبلة، لكن الاحتمالات لا تتوزع بالتساوي.

المسار الأول هو العودة إلى الطاولة بشروط مختلفة، أي القبول بمحادثات تشمل الملف الصاروخي والنفوذ الإقليمي إلى جانب الملف النووي. هذا المسار يستلزم من القيادة الإيرانية مراجعة ذاتية جدية لكيفية تقديم أي تنازل لقواعدها الداخلية دون أن تبدو منكسرة، وهو تحدّ سياسي داخلي لا يقل صعوبة عن التّحدي الخارجي.

ترامب لم يتراجع أمام طهران بل أرخى الحبل ليشدّه لاحقًا؛ منح النظام الإيراني مساحة اختبار فحوّلها إلى فخّ سياسي واقتصادي كشف حدود عناده

المسار الثاني هو التصعيد المتعمد لإعادة رسم قواعد اللعبة، أي الضغط على نقاط حساسة كمضيق هرمز أو تجاوز عتبات التخصيب المعلنة أو الضغط عبر الوكلاء الإقليميين. هذا المسار محفوف بمخاطر جسيمة في لحظة بات فيها الغطاء الدبلوماسي الدولي أقل سخاءً مما كان عليه في فترات سابقة.

المسار الثالث هو المراوحة: الاستمرار في سياسة الصمود دون تصعيد حاد ودون انفراج حقيقي، وإدارة الضغوط الاقتصادية بالأدوات المعتادة من تهريب النفط والتحايل على العقوبات. هذا المسار أقل الخيارات دراماتيكية لكنه الأكثر كلفة على المدى الطويل.

حين تنظر قيادة طهران اليوم إلى الأشهر الماضية، تجد أن كل ما فعلته في فترة التفاهم كان تضخيما لمواطن ضعفها بدل استثمار هامش الفرصة الذي أتيح لها. أعطاها ترامب متسعا دبلوماسيا لم تستخدمه للبناء بل للمطالبة. أعطاها هامشا أمنيا لم تترجمه إلى ضبط نفس بل إلى مزيد من الاستفزاز. وأعطاها فرصة للخروج الكريم من دائرة العزلة لم تُدرك قيمتها إلا حين أُغلقت.

الحبل الذي مُدّ لإيران لم يكن طوق نجاة، بل كان أداة النهاية التي اختارت أن تشدّها بنفسها. ترامب لم يتراجع، كما توهّم المحتفلون في طهران. كان يمارس أقدم حيل السياسة الدولية: أعط خصمك ما يريد لفترة كافية ليثبت للعالم أنه لا يستحقه.

السؤال الذي يبقى مفتوحا ليس ما إذا كانت إيران ستشعر بثقل الضغط المتجدد؟ فذلك شبه مؤكد. السؤال هو هل تمتلك القيادة الإيرانية القدر الكافي من البراغماتية لتُميّز بين الصمود الإستراتيجي والعناد الانتحاري؟ التاريخ يُعلّمنا أن الدول التي لا تُفرّق بين الاثنين تدفع الثمن مدة طويلة بعد أن تنتهي اللحظة التي كان يمكن فيها الخروج بأقل الخسائر.

ليبيا بين مبادرة بولس وحسابات رافضيها

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

ارتفعت الأصوات الرافضة لمبادرة الإدارة الأميركية لحلحلة الأزمة السياسية في ليبيا وتوحيد مؤسسات الدولة بما فيها السلطة التنفيذية والقوات المسلحة. من مصراتة وطرابلس والزاوية، أعلن عدد من الزعماء القبليين وقادة الميليشيات تصديهم للخطة التي سُمّيت اصطلاحًا بخطة مسعد بولس، مستشار الرئيس دونالد ترامب للشؤون العربية والأفريقية، وبدا هناك تنسيق واضح بين القوى الميدانية والسياسية والاجتماعية في مدن الساحل الغربي، بما يشير إلى أن الأمر لا يتعلق بردود فعل عفوية على المبادرة، وإنما يندرج ضمن حملة ممنهجة ذات أبعاد مختلفة يعمل الواقفون وراءها على إبلاغ رسالة مهمة للمسؤولين في الولايات المتحدة، مفادها أن لا مجال لتمرير مقترح تنصيب الفريق صدام حفتر نائب القائد العام للجيش على رأس المجلس الرئاسي.

الرافضون للمقترح أغلبهم من قيادات الإسلام السياسي، وخاصة جناح رئيس دار الإفتاء الصادق الغرياني وأتباعه المحسوبين على الجماعات المتشددة المنحدرة من مناطق سيطرة قوات المشير خليفة حفتر، وقادة الميليشيات ممن يعتبرون أنفسهم مؤتمنين على مبادئ وأهداف ثورة فبراير، والذين لا يزالون متمسكين بشعارات الربيع العربي وبمواقفهم المعادية لثورة الكرامة التي يعتبرونها ثورة مضادة معادية للمشروع الديمقراطي وامتدادًا لثورة الثلاثين من يونيو التي أطاحت بحكم الإخوان في مصر. هناك من يعلنون بوضوح أنهم ضد أن يتولى قائد عسكري مثل الفريق صدام الحكم، وهو الذي يدير المشروع الوطني كما يراه والده المشير خليفة حفتر، انطلاقًا من امتدادات اجتماعية وسياسية وعقائدية مرتبطة أولًا بشرق البلاد، بما تعنيه برقة من إرث حضاري مؤثر في تاريخ الدولة الوطنية، وبالقومية العربية وحركة الضباط الأحرار الذين قادوا انقلاب الفاتح من سبتمبر 1969 قبل أن ينفرد العقيد معمر القذافي بالحكم، ويشكل نظامًا سياسيًا على مقاس طموحاته الشخصية والأسرية، ويحوّل البلاد إلى حديقة خلفية لمشروعه الفكري والسياسي الذي كان يعتقد أنه يتجاوز ليبيا إلى الوطن العربي وأفريقيا والعالم الثالث والبشرية جمعاء. كما لا يمكن فصل المشير حفتر عن الامتدادات القبلية والاجتماعية التي يرتبط بها، والتي ينظر إليها البعض على أنها تشكّل وجهًا آخر لامتدادات القذافي البدوية بما لها من توازنات تاريخية ومناطقية وثقافية، وخاصة في شرق ووسط وجنوب البلاد مع حضور واضح في دول الجوار.

التيارات الليبرالية والعلمانية والديمقراطية تنظر إلى سلطة المشير حفتر على أنها سلطة شمولية تجامل التيار السلفي، وترفع شعارات قومية عنصرية، وتقمع الرأي الآخر والمختلف، وتسير على خطى النظامين الملكي والجماهيري في منع النشاط الحزبي. وترى أن وصول الفريق صدام إلى أعلى هرم السلطة، مع ما يمتلكه من رصيد عسكري ومدد اجتماعي، قد يدفع به إلى تكريس نظام سياسي جديد يقطع نهائيًا مع المشروع الديمقراطي ويعود بالبلاد إلى منظومة حكم الفرد كما سادت في السنوات الأربعين التي سبقت عام 2011. الحقيقة أن لا أحد يستطيع تأكيد ما يدور في عقل المشير حفتر أو في عقل نائبه ونجله الفريق صدام، وكل ما قاله المعارضون للمبادرة الأميركية لا يخرج عن دائرة الأحكام المسبقة والرجم بالغيب انطلاقًا من دوافع سياسية يدركها السيد بولس جيدًا، أبرزها أن هناك من يخشى إعادة توحيد البلاد واستعادة الدولة لسيادتها ووحدة مؤسساتها إذا كان ذلك يضرّ بمصالحه السياسية ويطيح بامتيازاته المالية والإدارية والاجتماعية ويفتح المجال أمام إمكانية ملاحقته أمنيًا وقضائيًا.

واليوم، هناك فريق متحرك على أكثر من صعيد، يعمل على تأجيل الحل السياسي إلى أجل غير مسمى، ويسعى إلى تفعيل كل أدوات الإبطاء والمماطلة إلى حين نهاية الفترة الرئاسية الحالية في الولايات المتحدة، ولا يرى مانعًا من إشعال حرب دموية جديدة في غرب البلاد لتهميش مبادرة الحل والتركيز بدلًا منها على جهود وقف إطلاق النار وعودة الأمن والاستقرار خاصة إلى العاصمة طرابلس. لا شك أن السيد بولس سيصل إلى نفس ما وصل إليه المبعوثون الأمميون كغسان سلامة وستيفاني وليامز وعبدالله باتيلي وغيرهم، من أن النخبة السياسية في ليبيا تتعامل مع السلطة كأداة للسيطرة على الثروة باعتبارها غنيمة غير قابلة للتفريط فيها. السلطات التنفيذية الحالية في طرابلس جاءت إلى الحكم منذ فبراير 2021 لتقود مرحلة انتقالية مدتها ثمانية عشر شهرًا في أقصى الأحوال، لكنها بذلت جهودًا استثنائية للحؤول دون تنظيم الانتخابات وتحقيق المصالحة وتوحيد المؤسسات وإخراج البلاد من النفق. وهناك من بين رموزها من يرجّح البقاء في منصبه لمدة عشرين عامًا أو أكثر، ويعتبر أن الاستمرار في حكم جزء من البلاد أفضل بكثير من التخلي عنه لفائدة من يقود الدولة إلى سيادتها والمجتمع إلى وحدته والمؤسسات إلى قوتها وفاعليتها.

المشهد يعكس صراعاً على السلطة والثروة بين من يتمسك بالامتيازات الضيقة ومن يسعى لتوحيد المؤسسات فيما يظل الحل رهين الإرادة الدولية

تحتاج ليبيا اليوم إلى نخبة سياسية تؤمن بالمصلحة الوطنية العليا وتدافع عنها وتضحي في سبيلها، وإلى موقف حازم من المجتمع الدولي يُعبّر عنه قرار أممي يصدر عن مجلس الأمن بضمان تفعيل العقوبات التي يمكن أن تستهدف كل من يعرقل الحل ويتمسك بالسلطة كما هو الحال في طرابلس. وهو ما يتيح توفير مخرج آمن للمسؤولين الفاسدين كما حدث في محطات انتقالية سابقة، والسماح لهم بالمغادرة للحاق بأموالهم المهرّبة إلى الخارج، وترك مقاليد السلطة لمن قلبه على الشعب لا على امتيازات النفوذ وعمولات الصفقات وبريق الوجاهة وفخامة الكرسي.

هل يصل إلى ما وصل إليه المبعوثون السابقون؟

لماذا تتصاعد الحروب والصراعات من جديد؟

ربى عياش
إعلامية فلسطينية

عندما نشر ستيفن بينكر كتابه The Better Angels of Our Nature عام 2011، قدّم واحدة من أشهر الأطروحات في العقود الأخيرة، إذ رأى أن البشرية، رغم كل ما شهدته من حروب ومجازر، تتجه على المدى الطويل نحو انخفاض مستويات العنف، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وتحدث عن مرحلة "السلام الطويل" بين القوى الكبرى، ثم عن "السلام الجديد" بعد نهاية الحرب الباردة عام 1990، حيث انخفضت الحروب بين الدول مقارنة بما عرفه القرن العشرون.

العالم يشهد عودة سريعة للعنف بفعل التحولات الجيوسياسية والضغوط الاقتصادية والديموغرافية وتراجع المؤسسات الدولية عن دورها في احتواء النزاعات

لكن خلال العقد الأخير بدا العالم كأنه يسير في الاتجاه المعاكس. فمنذ عامي 2014 و2015 بدأت مؤشرات الصراع ترتفع تدريجيًا، ثم تسارع هذا الارتفاع بصورة أوضح بعد جائحة كورونا، وصولًا إلى عامي 2024 و2025، حيث سجّلت بيانات برنامج أوبسالا لبيانات النزاعات (UCDP) ومعهد أوسلو لأبحاث السلام (PRIO) أعلى عدد من النزاعات المسلحة بين الدول منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كما أصبحت السنوات الأخيرة من أكثر الفترات دموية منذ انتهاء الحرب الباردة.

وهنا يبرز السؤال الأهم: لماذا عاد العالم بهذه السرعة إلى دائرة العنف؟ وكيف استطاعت سنوات قليلة فقط أن تقلب المعادلة التي بدت مستقرة لعقود؟ من الممكن النظر في مجموعة من التحولات الكبرى التي تزامنت في الوقت نفسه وكانت سببًا في هذا التغير الكبير في بوصلة العالم.

أحد أهم هذه التحولات هو تغير شكل النظام الدولي. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991 دخل العالم مرحلة من الهيمنة الأميركية الواسعة، حيث لعبت الولايات المتحدة دورًا رئيسيًا في إدارة الكثير من الأزمات الدولية، سواء عبر التدخل المباشر أو من خلال التحالفات والمؤسسات الدولية. اليوم يرى عدد من الباحثين أن العالم يتجه نحو تعددية قطبية جديدة مع صعود الصين وعودة روسيا كلاعب عسكري وسياسي مؤثر، وهو ما جعل واشنطن تعطي أولوية متزايدة لمنافسة القوى الكبرى بدل الانخراط في إدارة كل الأزمات الإقليمية كما كان الحال سابقًا.

لكن هذا لا يعني أن الولايات المتحدة انتهت أو فقدت مكانتها. فلا تزال صاحبة أكبر اقتصاد بالدولار، وأقوى قوة عسكرية، كما تقود تحالفات كبرى وتملك قدرة كبيرة على فرض العقوبات الاقتصادية والتأثير في النظام الدولي. الذي تغير ربما ليس القدرة، وإنما الإرادة السياسية. فداخل الولايات المتحدة برز اتجاه يرى أن كلفة لعب دور "شرطي العالم" أصبحت مرتفعة، وأن الأولوية يجب أن تكون لإصلاح الداخل الأميركي وتعزيز الاقتصاد والصناعة وتقوية المجتمع قبل الانخراط في أزمات العالم. ومن هنا ظهرت شعارات مثل "أميركا أولًا"، والتي تعكس قناعة لدى جزء من النخبة السياسية بأن استمرار القوة يبدأ من الداخل، وأن الكثير من الإمبراطوريات عبر التاريخ لم تسقط بسبب قوة خصومها بقدر ما سقطت نتيجة التشتت والانقسام الداخلي.

لكن التحولات الجيوسياسية ليست العامل الوحيد. فهناك أيضًا عوامل ديموغرافية واقتصادية، خاصة في الشرق الأوسط وأفريقيا، حيث تمتلك الكثير من الدول نسبًا مرتفعة من الشباب، تقابلها بطالة وفقر وضغوط متزايدة على الموارد الأساسية مثل المياه والأراضي وفرص العمل. وعندما تجتمع هذه الظروف مع ضعف مؤسسات الدولة، تصبح البيئة أكثر قابلية للاحتجاجات والتمرد والصراعات المسلحة. ثم جاءت جائحة كورونا لتضاعف هذه الضغوط، فقد أدت إلى أزمات اقتصادية عميقة، وارتفاع معدلات الفقر، وإضعاف قدرة الكثير من الحكومات على إدارة الأزمات، وهو ما ساهم في زيادة التوترات الداخلية في عدد من الدول، وتحول بعضها إلى صراعات أكثر عنفًا.

ولا يمكن تجاهل أثر التكنولوجيا الحديثة على طبيعة الحروب. فالطائرات المسيّرة الرخيصة، والقدرات السيبرانية، والذكاء الاصطناعي، وانتشار الأسلحة الدقيقة منخفضة الكلفة، جعلت الحرب أقل كلفة من السابق وأكثر قدرة على الاستمرار لفترات طويلة، حتى بين أطراف غير متكافئة عسكريًا. كما أن الجماعات المسلحة غير التابعة للدول أصبحت تمتلك أدوات كانت حكرًا على الجيوش النظامية قبل سنوات قليلة. وفي الوقت نفسه، لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورًا مضاعفًا في تسريع الاستقطاب ونشر الدعاية والتعبئة، بحيث تُخاض المعارك على الأرض والفضاء الرقمي معًا، حيث أصبحت "حروب الروايات" جزءًا من الصراع نفسه.

كما أن المؤسسات الدولية لم تعد تمتلك الفاعلية نفسها في احتواء النزاعات أو فرض التسويات، وهو ما جعل الكثير من الأزمات تستمر لفترات أطول دون حلول حاسمة. أما الشرق الأوسط، فيبقى أحد أكثر المناطق تعقيدًا في العالم، بسبب كثرة اللاعبين الإقليميين والدوليين، وتراكم الصراعات التاريخية، وضعف مؤسسات الدولة في عدد من البلدان، واستثمار بعض القوى في الانقسامات الداخلية لتحقيق مصالحها.

خلال السنوات الماضية شهدنا انهيارًا وتفككًا في أكثر من دولة، من سوريا بعد حرب استمرت أكثر من عقد، إلى اليمن، وليبيا، والسودان، ولبنان الذي يعيش أزمات متداخلة، إضافة إلى الحرب في غزة وما رافقها من تداعيات إقليمية، فضلًا عن التوتر المستمر في الضفة الغربية. كما ساهم تصاعد المواجهة بين إيران وحلفائها من جهة، وإسرائيل والولايات المتحدة من جهة أخرى، في رفع مستوى التوتر الإقليمي. وكان هجوم السابع من أكتوبر 2023 نقطة تحول مهمة، لحظة جاءت نتيجة تراكمات طويلة من الأزمات والتوترات التي انفجرت بصورة غير مسبوقة.

وتضاف إلى ذلك تحديات أخرى، مثل النمو السكاني السريع، والهجرات، والتنافس على الموارد، خاصة المياه في أحواض مثل النيل والفرات، إلى جانب الصراع على النفوذ والسيادة بين القوى الإقليمية. لكن بعد كل ذلك يبقى السؤال الأهم: هل سنبقى أسرى لدوامة العنف؟ لا أحد يستطيع الجزم بذلك.

فالتاريخ يعلمنا أن النظام الدولي لا يبقى ثابتًا، وأن فترات الاستقرار يعقبها أحيانًا اضطراب، كما أن فترات الصراع تنتهي في النهاية بتوازنات جديدة، سواء عبر الردع، أو الاتفاقات السياسية، أو إعادة تشكيل موازين القوى. ربما العالم يمر بمرحلة انتقالية تُعاد فيها صياغة النظام الدولي، وهي مرحلة غالبًا ما تكون الأكثر اضطرابًا والأعلى كلفة. ويبقى الأمل أن تنجح الدول، كما حدث في محطات تاريخية سابقة، في بناء توازن جديد يعيد الحد من العنف، لأن البديل عن ذلك هو عالم أكثر استنزافًا، وأكثر انقسامًا، وأقل استقرارًا للجميع.

لماذا عاد العالم مسرعا إلى دائرة العنف؟

هل بدأ البرهان رسم مستقبل السودان بعيدًا عن حلفائه؟

د.عبدالمنعم همت
كاتب سوداني

أعاد التسريب الذي نشرته صحيفة The Liberal الأيرلندية فتح النقاش حول شكل السلطة في السودان بعد الحرب، بعد أن كشف عن وثيقة منسوبة إلى مكتب رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبدالفتاح البرهان، مؤرخة في 16 حزيران/يونيو 2026، تتضمن توجيهات لإعداد رؤية سياسية وإستراتيجية شاملة لإدارة البلاد خلال المرحلة المقبلة.

وبحسب ما ورد في التقرير، تقوم الرؤية على تشكيل حكومة عسكرية يقودها رئيس للجمهورية، إلى جانب حكومة تكنوقراط لمدة خمس سنوات، تعقبها انتخابات عامة. كما تدعو الوثيقة إلى إطلاق حوار سوداني داخلي، مع استبعاد أي مسارات أو مبادرات سياسية تُدار خارج السودان.

بعيدًا عن تفاصيل المشروع نفسه، يلفت الانتباه أسلوب إعداده. فالتسريب يشير إلى أن البرهان شرع في وضع تصور متكامل لمستقبل الدولة داخل دائرة ضيقة، من دون إشراك القوى العسكرية التي وقفت إلى جانب الجيش منذ اندلاع الحرب، وعلى رأسها القوات المشتركة التابعة للحركات المسلحة.

هذه النقطة تحمل دلالات سياسية مهمة. فالقوات المشتركة لم تكن طرفًا هامشيًا في المعركة، وهي في الحقيقة أصبحت جزءًا أساسيًا من موازين القوة العسكرية، وأسهمت في الدفاع عن مواقع إستراتيجية وخاضت معارك دفعت خلالها خسائر كبيرة. لذلك كان من المتوقع أن تكون شريكًا في أي نقاش يتعلق بالمرحلة الانتقالية وترتيبات الحكم المقبلة.

تسريب الوثيقة يكشف توجه البرهان نحو صياغة رؤية سياسية تُعيد تركيز السلطة بيد الجيش بعيدًا عن حلفائه العسكريين الذين شاركوا في الحرب

التسريب يوحي بأن البرهان اختار مسارًا مختلفًا. فبدلًا من بناء مشروع سياسي بالتوافق مع حلفائه، اتجه إلى إعداد رؤية خاصة بالمؤسسة العسكرية، تعيد تركيز السلطة في يد الجيش وأجهزة الدولة السيادية. وهذا يعكس أن التحالف الذي فرضته ظروف الحرب لا يعني بالضرورة استمرار الشراكة نفسها في مرحلة ما بعد الحرب. كما تكشف الوثيقة، بحسب التقرير، عن توجه واضح لإغلاق الباب أمام المبادرات الدولية والإقليمية، مع التركيز على حوار داخلي تحدد السلطة القائمة أطرافه وشروطه. ومن خلال هذه الصيغة، يبدو أن القيادة العسكرية تسعى إلى إنتاج شرعية جديدة تنطلق من الداخل، بعيدًا عن الضغوط الخارجية ومسارات التفاوض التي رعتها أطراف إقليمية ودولية خلال السنوات الماضية.

ويشير التقرير أيضًا إلى أن المشروع يمنح أولوية للعلاقات مع المملكة العربية السعودية، ويتحدث عن تنشيط المجلس الأعلى للتعاون والتنسيق الإستراتيجي، إلى جانب تحركات دبلوماسية شملت عرض الإطار السياسي للمشروع على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. وهذا يكشف أن التحرك لم يكن داخليًا فقط، بل صاحبه سعي للحصول على قبول إقليمي للمسار الجديد.

اللافت أن الوثيقة لا تتحدث عن إعادة ترتيب السلطة داخل الدولة فحسب، لكنها تعيد أيضًا ترتيب التحالفات التي نشأت خلال الحرب. فالقوات المشتركة، التي لعبت دورًا عسكريًا مؤثرًا، لا تظهر في المشروع بوصفها شريكًا في صناعة القرار السياسي، وهو ما قد يثير تساؤلات داخل التحالف العسكري نفسه حول طبيعة المرحلة المقبلة.

ويبقى السؤال الأهم: هل يمثل هذا المشروع بداية انتقال من تحالف فرضته الحرب إلى سلطة يحتكر الجيش قرارها السياسي؟ فإذا كانت الوثيقة تعكس بالفعل ما يدور داخل دوائر القرار، فإن البرهان بدأ مبكرًا في رسم شكل الدولة المقبلة، بعيدًا عن كثير من حلفائه، وفي مقدمتهم القوات المشتركة، التي قد تجد نفسها شريكًا في القتال لكنها خارج دائرة اتخاذ القرار السياسي بعد انتهاء الحرب.

لقد تزامنت مع هذه الخطوات تحركات من الزعيم القبلي محمد الأمين ترك، والذي دعا إلى حل مجلس السيادة وتفويض عبدالفتاح البرهان كحاكم عسكري للسودان.

اتفاق السجين والسجان... حين يسمى الخضوع شراكة

صبحي ساله يي
كاتب من كردستان العراق

في الاتفاقات التي تُعقد بين السجان الغالب الذي يملك أدوات القوة والضغط، والسجين المغلوب على أمره والمحكوم بقيود الظرف والواقع ومحدودية الخيارات، وفي ظل غياب التوازن في القوة، لا يبقى مجال حقيقي للتفاوض، بل يصبح الأول (الأقوى) صاحب القرار والقدرة على فرض إرادته وتحديد حركة الطرف الآخر، فيما يجد المحروم من حريته خلف القضبان نفسه من موقع الحاجة ضعيفًا مكرهًا مضطرًا منصاعًا يحاول التكيف مع الواقع وتقليل خسائره، ساعيًا إلى انتزاع مساحة من حريته.

الاتفاق بين السجين والسجان ليس شراكة حقيقية بل خضوع لميزان قوة مختل حيث تُفرض الإرادة ويُقدَّم التنازل تحت ضغط الحاجة

وفي مثل تلك الحالة، وحينما يُملي الأقوى شروطه، لا تكون هناك حاجة إلى وسطاء وشهود، ولا إلى مراسم وبروتوكولات، ولا إلى ورقة مكتوبة تحمل تواقيع الطرفين، ولا مصافحة خلف الكاميرات، لأنهما بالأساس غير متكافئين. ولأن مثل تلك الاتفاقات تُعقد غالبًا في الكواليس والدهاليز بعيدًا عن الشفافية والوضوح، تكون الضمانات الحقيقية لها إما غائبة كليًا أو ضعيفة الحضور. كما لا يطلع الكثيرون على تفاصيلها، ولا يعرفون طبيعة الالتزامات المتبادلة، ولا حجم التنازلات التي قدمها السجين. وتبقى الاتفاقات في جوهرها رهينة لموازين القوى والظروف السياسية المتغيرة أكثر من أن تكون مستندة إلى أسس قابلة للاستمرار. أما عن سياق العلاقة بينهما فإنها لا تقوم على الثقة المتبادلة أو الشراكة، بل على ميزان مختل القوة، ولذلك يبقى الاتفاق بينهما عرضة للاهتزاز، وستبقى عقلية الغالب والمغلوب حاضرة في طريقة التعامل بينهما.

وحين يكون السجين منشغلًا بتحقيق مصالح شخصية ضيقة، لا يكون همه البحث عن الندية أو تغيير موازين القوى، لأنه يبحث عن رضا السجان ويأمل في الحصول على مكسب محدود أو امتياز مؤقت. لذلك فإن النقاشات –إن كانت هناك نقاشات– ما قبل وما بعد الاتفاق لا تتحول فقط إلى حالة من العجز، بل تنحدر إلى مستوى المساومة والخضوع والامتثال وتقديم التنازلات. والمصيبة هنا تبرز حين يعتبرها السجين في العلن حكمة وواقعية سياسية وشراكة وإنجازًا تاريخيًا، وفي قرارة نفسه لا يثق بسجّانه رغم أنه فتح له باب الزنزانة.

سقت هذه المقدمة لأشير إلى الضجيج المصاحب لاتفاق أو تفاهم أو تقارب بين طرفين كرديين لا يثقان ببعضهما البعض ولا يؤمنان بالشراكة بينهما، ولكنهما يبالغان في الاحتفاء بالاتفاق وتضخيمه إعلاميًا ويصفانه بأوصاف رنانة من قبيل "التاريخي" و"الإستراتيجي" و"المصيري"، دون أن يدركا أن ما حدث مجرد سحابة صيف أو فقاعة، وأن كثرة الإشادات والتصريحات والبيانات والعبارات المنمقة لا تغيّر من حقيقة المعادلة شيئًا، بل قد تكون محاولة لإخفاء ما يعتري الاتفاق من هشاشة ونقص في الضمانات، ولإخفاء التصريحات والأوصاف السابقة التي أطلقها الطرفان أحدهما ضد الآخر، وما تردد بينهما من اتهامات وتهديدات وتحذيرات، وما تم تداوله من سلبيات وانتقادات متبادلة، بل وحتى ما شهدته الساحة من تنابز بالألقاب وتبادل للنعوت القاسية التي تجاوزت في الكثير من الأحيان حدود الخلاف السياسي إلى التشكيك في النوايا والولاءات.

أما الأسئلة التي تطرح نفسها هنا بإلحاح شديد، وتفتح الباب أمام الشائعات والتأويلات، وتدفع الناس إلى استحضار الماضي بكل تفاصيله، فهي: هل كانت تلك الاتهامات صحيحة أم مجرد أدوات للاستهلاك السياسي؟ وهل كانت التهديدات حقيقية أم أوراق ضغط مؤقتة؟ وهل كانت الأوصاف والألقاب التي أُطلقت تعبر عن قناعة راسخة، أم أنها كانت جزءًا من معركة سياسية انتهت بانتهاء ظروفها؟ وإذا كان اتفاق اليوم بهذا القدر من الأهمية، فلماذا كل ذلك التصعيد بالأمس؟ وإذا كان ما قيل بالأمس صحيحًا، فكيف أصبح الطرف الآخر اليوم شريكًا موثوقًا وجديرًا بالإشادة؟

مع مرور كل يوم، تزداد الأسئلة وتقل الإجابات، ويصبح البحث عن الضمانات أكثر أهمية من متابعة رداءة الكلمات وصخب المؤتمرات الصحفية ومراسم الزيارات وصور المصافحات.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

«من الشمال حتى الجنوب».. حين تصبح الكتابة بيتا أخيرا

ممدوح عزام يرمم في سيرته البيت والقرية والكتب المحترقة

لا تتوقف السير الذاتية عند حدود الذات الكاتبة، بل تشمل أيضا حقبات تاريخية وأماكن وأحداثا مشتركة خاضتها الذات مع محيطها، فتصبح بذلك هذه الذات نافذة على الإنسان والتاريخ والأفكار وهلم جرا، وهكذا يمكننا قراءة سيرة الكاتب السوري ممدوح عزام.

هيثم حسين
كاتب سوري

يفتحُ الروائيّ السوريّ ممدوح عزام في كتابه السيريّ "من الشمال حتى الجنوب" باباً على عالم تشكّل ببطء، ونضج مع الأعوام، حتى غدت تفاصيله جزءاً من نسيج الكتابة ذاتها.

تتوالى الصفحات حاملةً الأب، والبيت، والأشجار، وقرية تعارة، والمكتبة، عبر سرد يضيء حياة كاملة أكثر مما يستعيد ذكرياتها، فيكتشف القارئ أنه يمضي في صحبة كاتب يكشف، بهدوء وثقة، المنابع الأولى التي غذّت تجربته الإبداعية، ومنحت أعماله ذلك الحضور الإنساني المؤثّر.

يستعير ممدوح عزام عنوان كتابه، الصادر مؤخرا عن دارَيْ سرد وممدوح عدوان، من مقطع شعريّ لبابلو نيرودا في "النشيد الشامل"، كأنه يضع منذ العتبة الأولى مفتاح القراءة بين يدي القارئ. فالرحلة التي يوحي بها العنوان بين الشمال والجنوب تستدعي تاريخاً من العنف والاقتلاع، قبل أن يعيد الكاتب ملء هذه العبارة بحكايات البيت، والأب، والقرية، والكتب، ثم بما شهدته السوداء لاحقاً من مآس جعلت الاقتباس يبدو أقرب إلى تجربة مؤلمة منها إلى إحالة شعرية.

الأب والمكان

يستهلّ صاحب "قصر المطر" كتابه بحلم القتل، ذلك الكابوس الذي يرافقه كل ليلة، ثم يعبر معه إلى اليقظة، فيغدو جزءاً من تفاصيل يومه، ويقيم في ذهنه كما يقيم البيت في الذاكرة. تتكرر المشاهد حتى تبدو مألوفة؛ الجنود يقتحمون المكان، والبيت تلتهمه النار، والمكتبة تتهاوى، والأشجار التي رافقته طوال عمره تقف في مواجهة المصير ذاته. ومن هذا المشهد المعلّق بين النوم والصباح، يبدأ الكاتب رحلته نحو البيت، كأن العودة إلى التفاصيل تمثل طريقته في حماية ما يحب.

يفتح عزام الأبواب واحدا تلو الآخر، ويستعيد الأب، والأشجار، والمكتبة، والقرية، والأيام التي تراكمت بهدوء، فيتكوّن أمام القارئ عالم كامل، يحمل حرارة الحياة، ويزداد رسوخاً مع كل صفحة، حتى يصبح الفقد أكثر قسوة، لأن القارئ يكون قد عاش مع هذا العالم، وتعرّف إلى ناسه، وشاركهم إيقاع حياتهم، قبل أن تمتد إليه النار.

> تجربة ممدوح عزام أوسع من حدود كتاب واحد، فهي تذكر بأن الأدب، في جوهره، فعل مقاومة للنسيان

من بين الوجوه التي يفيض بها الكتاب، يظل الأب الأكثر حضوراً. حضوره يأتي هادئا، متدرجا، بعيدا عن أي محاولة لصناعة بطولة أو تقديم نموذج مثالي. إنه الأب الذي عرف قيمة الحكاية، وأدرك أن الإصغاء جزء من التربية، وأن الشجرة تحتاج إلى صبر يشبه صبر الإنسان على الأيام.

وحين يروي ممدوح عزام قصة الزيتونة التي انتقلت من عفرين إلى تعارة، فإن الحكاية تفتح بابا واسعا أمام معنى الانتماء؛ فالأشجار، مثل البشر، تحمل شيئاً من الأماكن التي جاءت منها، ثم تمنح المكان الجديد جزءا من روحها. ولهذا تغدو تلك الزيتونة أكثر من شجرة زرعت في حديقة البيت، وتصبح شاهدة على تاريخ أسرة، وعلى انتقال الذاكرة من جيل إلى آخر.

يكتشف قارئ أعمال ممدوح عزام الروائية أنّ كثيرا من الشخصيات التي عرفها في رواياته بدت، في ضوء هذا الكتاب، أكثر وضوحا. الأمكنة التي ظهرت هناك اكتسبت هنا جذورها الأولى، والوجوه التي مرت في الروايات بدت امتداداً لوجوه عرفها الكاتب في حياته اليومية. شعرت أن "من الشمال حتى الجنوب" يمنح قارئ ممدوح عزام فرصة نادرة ليرى المنبع الذي خرجت منه تلك العوالم الروائية، وأن يكتشف كيف تتحول الحياة اليومية، مع الزمن، إلى مادة فنية قادرة على البقاء.

تعارة، في هذا الكتاب، تتحول إلى شخصية كاملة. القرية تعيش بإيقاعها الخاص؛ ببيوتها المتقاربة، وحقولها، وطرقاتها، وعلاقات أهلها التي صاغتها الأعوام. الكاتب لا يتعامل معها بوصفها نموذجا مثاليا، وإنما يتركها تتحدث بطبيعتها، فيتعرف القارئ إلى مجتمع تشكل عبر التراكم، وعرف كيف ينظم حياته من خلال الأعراف والعلاقات الإنسانية، وكيف يحفظ توازنه في أزمنة كثيرة. هذه التفاصيل الصغيرة تمنح المكان صدقه، وتجعل القارئ يشعر أنه يسير في طرقات القرية، ويجلس في مجالس أهلها، ويشاركهم إيقاع حياتهم من غير أن يغادر مقعده.

ولعل أكثر ما استوقفني أن ممدوح عزام يكتب هذه التفاصيل برغبة واضحة في حفظ عالم كامل من التبدّد، عالم يعرف الكاتب أنه يستحق أن يُروى، لأن قيمة الأمكنة عنده تُقاس بما تتركه في أرواح الذين عاشوا فيها.

ومن هذه الزاوية، يغدو الكتاب أقرب إلى محاولة لاستعادة زمن كامل، بكل ما حمله من أصوات وروائح وصور وعلاقات، قبل أن تتدخل التحولات العاصفة في مصائر البشر والأمكنة.

إذا كانت تعارة تمثل القلب النابض لهذا الكتاب، فإن المكتبة تمثل ذاكرته. منذ الصفحات التي يقترب فيها ممدوح عزام من كتبه، يشعر القارئ أنه لا يتحدث عن مقتنيات جمعها على امتداد العمر، وإنما عن سيرة أخرى كُتبت على رفوف الخشب. كل كتاب دخل تلك المكتبة ارتبط بمرحلة، أو بصديق، أو بمدينة، أو برحلة، أو بحلم قديم. الإهداءات التي خطها أصحابها على الصفحات الأولى، والرسائل التي استقرت بين الكتب، والمخطوطات التي انتظرت دورها، والمراجع التي رافقت ولادة الروايات، كلها تشكل طبقات متراكمة من حياة الكاتب، حتى تغدو المكتبة صورة أخرى لصاحبها.

الكتب والكتابة

يكشف ممدوح عزام عن علاقة تبدو أكثر هدوءا وأعمق جذورا بالكتب، فالقراءة عنده عادة يومية، والكتاب يدخل الحياة كما يدخل صديق قديم، من دون ضجيج. وربما لهذا السبب تترك الصفحات التي يكتبها عن مكتبته أثرا خاصا؛ لأنها تضع القارئ أمام عمر كامل تشكل بين القراءة والكتابة، وتكشف أن كل رواية ينجزها الكاتب تحمل، في مكان ما، أثراً لكتب كثيرة سبقتها.

الرحلة التي يوحي بها تمتد بين الشمال والجنوب، لكنّ الرحلة الأعمق تجري داخل الذاكرة نفسها. الإنسان يمضي في حياته وهو يظن أن البيوت تحمي ذكرياته، ثم تأتي لحظة يكتشف فيها أن الذكريات هي التي كانت تحمي البيوت من الغياب. وما إن تستقر في الكتابة حتى تكتسب قدرة مختلفة على البقاء، لأن الكلمات تحمل ما تعجز الجدران عن حمله حين تداهمها الحرائق.

وفي الصفحات الأخيرة يتسع أفق الكتاب من البيت إلى القرية، ومن القرية إلى سوريا التي ظلّت حاضرة في وجدان ممدوح عزام، بأهلها الذين أحبهم، وبقيمها التي نشأ عليها. ثم تأتي الجملة التي تبقى معلقة في الذاكرة: "في المقدمة تمهّد الكتب للآتي. وفي الوسط تحاول أن تشرح أسباب الخوف والحب والحرب. في الخاتمة تأكلها النار". وبعد احتراق تعارة مع عشرات القرى الدرزية في السويداء، حملت هذه الكلمات وقعا أشد عمقا، وبدا الكتاب كأنه يواصل كتابة فصوله مع كل حريق جديد، بينما تواصل الكتابة حمل البيت والقرية وأهلهما إلى ذاكرة تتسع للحياة أكثر مما تتسع لها الجدران.

لعلّ السؤال الأبرز الذي يتبادر إلى ذهن قارئ هذا الكتاب هو: ماذا يبقى للإنسان حين تتصدع الأمكنة التي أحبها؟ ومن هذه الزاوية، تبدو تجربة ممدوح عزام أوسع من حدود كتاب واحد، فهي تذكر بأن الأدب، في جوهره، فعل مقاومة للنسيان، ومحاولة دائمة لإنقاذ ما يستحق أن يبقى في الذاكرة. وحين يكتب عن والده، أو عن زيتونة جاءت من عفرين، أو عن مكتبة رافقته عقودا، أو عن قرية صنعت ملامحه الأولى، فإنه يمنح تلك التفاصيل حياة جديدة، ويودعها في مكان يصعب على الزمن أن ينتزعها منه.

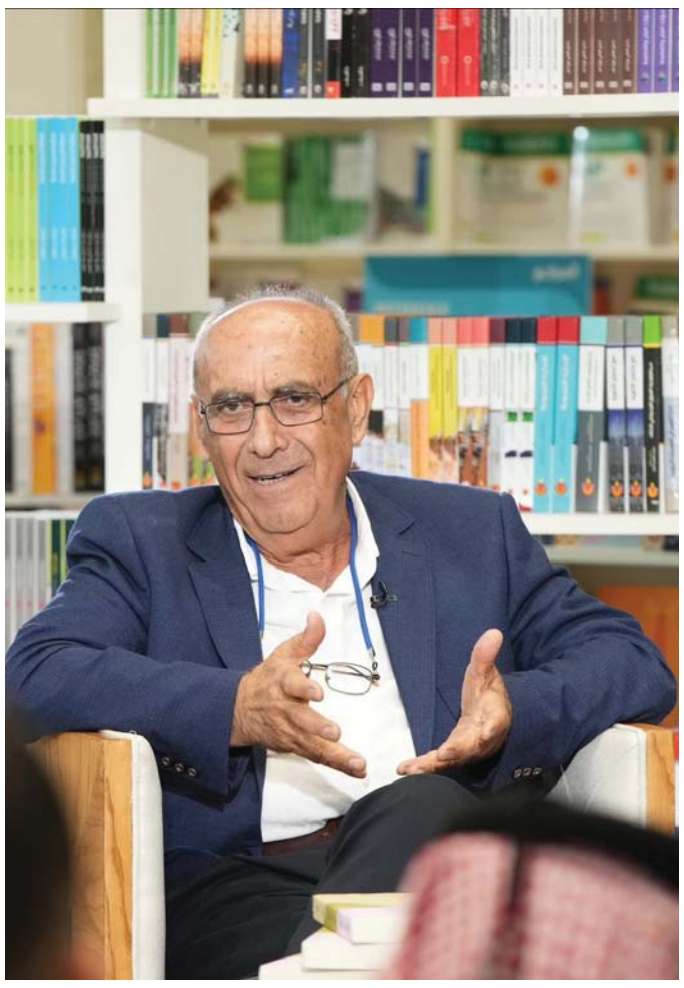

كاتب يحاول إنقاذ ما يستحق أن يبقى في الذاكرة

على ضوء أفكار إدوارد سعيد.. الشرق الترامبي هو الأكثر خطورة

علي حسن الفواز
كاتب عراقي

لم تزل أطروحات إدوارد سعيد مثار جدل ونقاش فاعلَيْن، ليس لطبيعة ما تُثيره من أسئلة ومن إجراءات نقدية، ولخطورة المواقف النقدية التي كان يجاهر بها بوجه المؤسسة الإمبريالية فحسب، بل لأنه بدا أكثر تمثيلا لأنموذج "المثقف النقدي" الذي جعل من زمنه الشخصي زمنا ثقافيا فاعلا وإجرائيا في سياق مناقشات مفتوحة لقضايا السياسة والحقوق والعلاقة مع الآخر، وبما يعزز فاعلية خطابه في أن يكون نقدا واضحا وصاخبا وجزءا من حفريات معرفية تخص تمثلات الآخر، بوصفه آخرَ متعاليا، وآخر استعماريا، وآخر "تاريخيا".

صحيح أن العناية الأكاديمية بأطروحات سعيد جعلته نظيرا بمشاغل الدراسات الثقافية، بوصفها ممارسة أكاديمية أيضا، لكن حقول الدرس التي اشتغل عليها سعيد شكّلت منعطفا مهما، في تمثيل هذا الدرس في الفضاء الأكاديمي الأميركي والغربي، وفي التعاطي مع قضايا الصراع الإنساني، في تمثيله النضالي والطبقي والأيديولوجي، وحتى الثوري، وكذلك في تمثيل علاقته بالسلطة وبالآخر، وبالحديث الثقافي عن "ما بعد الكولونيالية" المخادعة، وعمّا بعد البنيوية بوصفها شغفا بتفكيك المركز الميتافيزيقي للهيمنة، وللأنموذج الذي سوقه المستشرقون "الإمبرياليون" مثل برنارد لويس وفوكوياما وهنتغتون وبرنار هنري ليفي، الذين خلطوا بين الأكاديمي والسياسي، وبين "الخديعة الثقافية" كما سمّى بعضهم جيل ديلوز.

مراجعة مفهوم «السلطة»

حيوية إدوارد سعيد فتحت أفقا للسؤال الثقافي النقدي، في الوعي بمدى أهمية الدراسات الثقافية، وبجدية القراءات التي تُعنى بتشكلات العالم ثقافيا في مرحلة ما بعد الاستعمار، لاسيما فاعلية تمثيلها للمعرفي، وللسياسي الذي يخص مرجعيات الدراسات الثقافية، حيث الهوية والأمة والسلطة، وحيث تمثل الآخر، وحيث علاقة ذلك بأطروحات الاستشراق، وبعلاقة "الثقافة بالإمبريالية" وهي عناوين لكتب سعيد، والتي تحولت إلى حقول ألغام معرفية، ومناطق ساخنة للمساءلة والمراجعة والمراقبة. ما أورثه الاستشراق لنا من فخاخ، هو التورط المعرفي بالبحث عن شرق آخر، وعن تمثيلات أنثربولوجية وتاريخية تستدعي مزيدا من "الحفر المنهجي" على طريقة فوكو، لمواجهة عنف السيطرة والمراقبة، وتوحش الاستعمار العسكري والسياسي، وإعادة صياغة ثنائية "المعرفة والسلطة"، ولربط فكرة الشرق بمشاريع كبرى، فضلا عن تكريس الصورة الذهنية النمطية عن الشرق، لأن "الغرب الاستعماري" لم يتحرر بعد من عقدة "البطل الأخير" ولا من أوهام هيغل حول نهاية التاريخ، والنزعة المركزية للسلطة.

كل هذا دفع سعيد لمراجعة مفهوم "السلطة" من خلال ما تنتجه من خطابات، ومن أعراف تضمر التباسا خفيا عن الأنموذج المتعالي الذي تمثله روح نابليون، بوصفها "تاريخا على حصان" كما وصفه هيغل، أو بوصفه نسقا لتمثيل المعرفة المتعالية، معرفة القوة والمؤسسة والتضليل والتغريب، والتي تحولت إلى "قوة غاشمة" مع تضخم مؤسسة الرعب، لاسيما بعد "إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناكازاكي" في اليابان، وفي تغويل الحرب الباردة، وصولا إلى بروز البراديغم الشعبوي، للرئيس/ البطل الهيغلي، وللمؤسسة الطاغية، وللمعسكر والأيديولوجي والسوق والبنك، وغيرها من أدوات السلطة، وصولا إلى بروز جماعات اليمين المتطرف، والحديث عن الهوية النقية كتمثيل أيديولوجي وعصابي للهوية القاتلة.

رغم حديث البعض عن تمثيل "الانغماس الأيديولوجي" في مشروع إدوارد سعيد، بوصفه "تورطا أيديولوجيا" أو اتهاما ثقافيا أو تحيزا سياسيا، إلا أنه كان أكثر ثورية في التعاطي مع قضايا إشكالية، لاسيما مواجهة "الوعي الزائف"، وعلاقة الهوية بالدوغمائية، وبالسلطة الثقافية التي حاول الغرب تسويقها، عبر تمثلات ثقافية أو أيديولوجية بوصفها تمثلات خطابية لسلطات المركز والخطاب والاحتواء، حيث كان كتابه الأيقوني "الاستشراق" هو المجال النقدي الأكثر تمثيلا لتلك الإشكالية، فنقد الدونية التي صنعها "الغرب الاستعماري" عن الهوية والذات والتاريخ، وعلى نحو تكرست معه "السيطرة والاحتلال" بوصفها إجراءات تهدف إلى "غربنة الشرق" عبر السيطرة على الأرض والثروة وعلى اللغة وعلى "تشريق الشرق" ذاته كما يقول سعيد.

لقد تعاطى سعيد مع محنة "التشريق" عبر الوعي النقدي بها، وعبر الشك المنهجي بإجراءاتها، لاسيما وأنه "الأكاديمي" الأميركي الحاذق، والذي يعرف أن السلطة تنتج "المعرفة" التي تعزز من خلالها الهيمنة، حيث تم الترويج للآخر الحضاري والقوي والعنيف من خلال "الأنموذج الصهيوني" عبر حرب 1967، وعبر حرب احتلال بيروت، وتدمير الداخل الفلسطيني عبر تدمير السرديات الوطنية، وتقليص الجغرافيا الوطنية، وفرض سلطة الخطاب عبر المنبر، وعبر مؤسسات العمل والتعليم والإعلام والسياسة، والعسكرة، وعبر شيوع "أيديولوجية الليبرالية الجديدة التي تُعد من أبرز أسباب التراجع الاجتماعي، بعدما أسهمت في تقلص القوة الشرائية، وتراجع جودة التعليم، وإضعاف منظومات الحماية الاجتماعية، فضلاً عن تفاقم الأزمات البيئية" كما أورده الكاتبان جيرار ديمونيل ودومينيك ليفي في كتابهما "التحول الكبير" الصادر عن المركز القومي للترجمة في القاهرة.

الشرق الترامبي

الشك الاستشراقي قد يكون مدخلا للحديث عن أزمة علاقتنا بـ"الهيمنة الغربية" وبطبيعة المشروع السياسي الكبير الذي يربط إجراءاته بمواقف معينة، وبسياسات ليست بعيدة عن تمثلات الصراع، وعن تداعيات ما يحدث في "الشرق العربي" من تشظيات وتمزقات، فشل العقل العربي في التعاطي مع أسبابها، وهو ما وجد فيه إدوارد سعيد مجالا للحديث عن أهمية المعرفة في سياقها الثقافي والأكاديمي، وكذلك في سياقها النقدي والخطابي، إذ وجد سعيد في غيابه الأثر الخطير في مواجهة هيمنة "المراكز الثقافية" التي تحولت إلى مؤسسات، وإلى منظمات دولية ترتبط بـ"اللوبي الصهيوني"، كما ترتبط من جهة أخرى بجماعات اليمين المتطرف، ورؤوس أموال كبرى، وصولا إلى أطروحات "الليبرالية الجديدة" وإلى تسويق حديث "الديانة الإبراهيمية" بوصفها الجينالوجي وليس التاريخي.

> إعادة دراسة كتابي إدوارد سعيد «الاستشراق» و«الإمبريالية والثقافة» تكتسب أهمية كبيرة، على مستوى التمثيل النقدي

ما تركه سعيد من أثر ثقافي/ نقدي يكشف عن أزمة العقل الغربي، في تمثيله لمفاهيم التنوير والإصلاح والديمقراطية، وفي تقويض المركزية الأخلاقية لحقوق الإنسان، فما بات واضحا في الحديث عن "نهاية التاريخ" و"الإنسان الأخير" وعن "صدام الحضارات" لن يكون بعيدا عن الخطاب الذي يسوّقه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ليس بوصفه الشخصي، بل بوصفه الأنموذج الأكثر انغماسا في الأيديولوجي وفي مشروع اليمين المحافظ، حيث التمركز حول مركزية الخطاب، ومركزية النظام الدولي، ومركزية المال، وحول موضوع "الشرق" بوصفه خط مواجهة مفتوحا مع الصين وروسيا، ونقطة جذب للاستثمارات الكبرى، في الجغرافيا، وفي الطاقة، وفي الهيمنة.

الشرق الترامبي أكثر خطورة من "شرق الرئيسين ريشارد نيكسون ورونالد ريغان" ليس لتغيّر الزمن السياسي، بل لتضخم العقل المؤسسي لليبرالية الجديدة، وصعود اليمين المحافظ في أميركا والغرب، وفي تضخم الكيان الصهيوني على المستوى الجيوسياسي، وعلى المستوى المفهومي، في تمثيل العلاقات المعقدة مع الهوية والمكان والمتخيل السردي، وحتى مع الآخر الذي نظرت إليه المؤسسة الإسرائيلية بوصفه من "الأغيار"، وهي إشارة إلى "المختلف القاتل" وإلى الطرد والإقصاء، وعلى الطريقة "القشتالية" التي تعاطت مع "الموريسكيين" خارج المكان الأندلسي.

هذه المعطيات هي التي جعلت من إعادة دراسة كتابي إدوارد سعيد "الاستشراق" و"الإمبريالية والثقافة" تكتسب أهمية كبيرة، على مستوى التمثيل النقدي للمواجهة، وتفعيل أدوات الحفر الثقافي، وكذلك على مستوى تمثيل الخطاب بوصفه مجالا نقديا، وتأسيسا لفعالية ثقافية تقوم على "القراءة الفاعلة" للآخر، في تمثيله الثقافي، وفي توسع حلقات الدرس التي تعنى بالتعرف على الوسائط والأدوات الثقافية، وكيفيات استعمالها في السيطرة، وفي التعاطي مع وظائفية النقد، بوصفه المناهجي المعارض، أو بوصفه جزءا من إجراءات "تحدي الأفكار والنظريات الغربية ونبراتها المتعالية والمهيمنة" كما قال هشام علي.

أهمية سعيد النقدية تكمن في قدرته على تفكيك الخطاب، وفي تمثيل أفق المغايرة بوصفها وعيا بأهمية المشروع النقدي، الخاص بنقد الاستشراق، ونقد الإمبريالية، من خلال نقد سردياته التي بدت اليوم أكثر رعبا، في استعادة المركزية القديمة، والإمبراطور القديم بنسخته الترامبية، والعدو العنصري بنسخته "الإسرائيلية" وعلى نحو بدا فيه تدمير الجغرافيا أو قضمها محاولة في صياغة تشكلات ثقافية للخوف، والامتثال والاحتواء، مثلما بدا فيه قتل الآخر الأيديولوجي تكريسا للقتل الثقافي/ الوجودي، وشرعنة هذا القتل من التهجين الهوياتي، وتحوّل الصراع من أجل الحرية إلى نفي للمصير وإلى اغتراب ونوع من البؤس الثقافي، القرين ببؤس المكان وبؤس الأيديولوجيا وتشظي الهوية.

«المثقف النقدي» الذي نقرأ بأعينه واقعنا المعاصر

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

صبيح كلش يحلّق بـ«طائر الجنوب» في فضاءات الذاكرة البصرية

قصيدة بصرية تحرر الذاكرة العراقية من أسر الواقع

الذاكرة العراقية لغة بصرية يفهمها العالم

يحتفي الفنان صبيح كلش في معرضه الشخصي "طائر الجنوب" بقاعة "أيقونة" بعبق الأهوار، مقدما تسع عشرة لوحة تمثل مختبرا جماليا يعيد صياغة الجنوب العراقي برؤية أسطورية معاصرة. نتتبع في هذا المقال هذا التحول الفني من الملحمية إلى الحميمية، دلالات اللون والأزرق المهيمن، وكيفية تحويل الذاكرة إلى فعل مقاومة بصري.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

بعد رحلة امتدت مع جلجامش في أزمنة الطين والملحمة، عاد الفنان صبيح كلش إلى الحاضر الأقرب والأبعد في آن، إلى الماء الذي لا يجف في ذاكرتنا. فمساء السبت الماضي، وفي قاعة "أيقونة" التي اكتظت بنخبة من الفنانين والنقاد ومتذوقي الفن، افتُتح معرضه الشخصي "طائر الجنوب"، تسع عشرة لوحة مختلفة القياسات، لكنها جميعها تحمل رائحة واحدة: عبق الهور الذي لا يتغير منذ آلاف السنين.

المعرض ليس استعادة نوستالجية لبيئة انقرضت، ولا تقريرا توثيقيا عن القصب والبردي والمشاحيف، بل كان مختبرا جماليا يعيد صياغة الجنوب العراقي كقصيدة بصرية، ويحرر مفرداته اليومية من أسر الواقع ليطلقها في فضاء أسطوري معاصر.

صبيح كلش لا يرسم الجنوب كما تراه العين العابرة على ضفة دجلة، إنه يرسم الجنوب الذي يسكن فينا، ذلك الجنوب الذي تعلمناه من الأغنية الطويلة، ومن صوت الناي المبلل بالماء، ومن حكايات الجدات عن أرض لا قاع لها، ولهذا جاءت لوحاته امتدادا طبيعيا لتجربته السابقة مع جلجامش، لكنها هذه المرة أقل ملحمية وأكثر حميمية.

إنها رحلة من الملحمة إلى البيت، من الصخر إلى الماء، من البحث عن الخلود إلى البحث عن الحياة اليومية التي تصر على الاستمرار رغم كل شيء. إذا تأملت اللوحات عن قرب، تدرك أن الفنان يبني عالمه على شبكة من الثنائيات التي لا تتصارع بل تتعانق، ثنائية الطيران والعمق، السماء والماء، الحركة والسكون، الأسطورة واليومي.

الطائر هو المحور الذي تدور حوله كل المعاني، لا يظهر مرة واحدة وبشكل واحد، بل يتعدد ويتبدل، تارة هو بطة برية بألوان زاهية تنبثق فجأة من قلب النهر كأنها فرحة مفاجئة، وتارة يتحول إلى كائن هلامي مجنح لا ينتمي إلى تصنيف بيولوجي، بل إلى تصنيف روحي. يختزل ألوان الطيف في جناحيه، ويصير رمزا للانعتاق، وللروح الحارسة التي لا تغادر المكان حتى حين يغادره أهله.

في إحدى اللوحات يطير الطائر مقلوباً، وكأن الفنان يريد أن يقول إن قوانين الجاذبية لا تسري على ذاكرة الجنوب، فهناك كل شيء ممكن: السمك يطير، والطير يسبح، والإنسان يحلم يقظا. وفي الأسفل، حيث يفترض أن يكون القاع، يتحرك عالم آخر موازٍ. السمكة ليست مجرد كائن مائي، بل هي نبض المكان. تسبح بخطوط مرنة، أحيانا تتجسد كوجه إنساني، وأحيانا تذوب في زخرفة، وبين السماء والماء يأتي "المشحوف" ليكون مركز الثقل.

القارب الهلالي الضيق لا يُرسم كوسيلة نقل فلكلورية فقط، بل كسفينة أسطورية تحمل الذاكرة، هو الجسر بين العالمين، بين الطيران والعوم، بين الحلم والواقع. يقف المشحوف ثابتا في بعض اللوحات، وفي أخرى يبدو كأنه يتحرك وحده بلا مجداف، مدفوعا بتيار غير مرئي من الحنين.

ولا يغيب المعمار عن هذا الفضاء، لكنه ليس معمار الإسمنت. تطل من الخلفيات قباب طينية صغيرة، وأقواس مهترئة، وجدران من القصب مفككة هندسيًا كأنها نسيج، والأهم هو حضور الحرف العربي، لا ككلمة تقرأ، بل كقيمة بصرية وزخرفية، حروف تذوب وتتكسر وتصبح جزءا من النهر، أو وشوشة على جناح طير.

> ما يميز الفنان العراقي صبيح كلش في هذه المرحلة هو قدرته على تطويع الإرث دون أن يستسلم له

هذا التوظيف يمنح اللوحة بعدا تعويذيا، يذكرنا بالرقم الطينية القديمة التي كانت تحمل الصلوات والدعوات، كأن صبيح كلش يكتب على الماء صلاة من أجل بقاء الجنوب.

اللون في "طائر الجنوب" ليس زينة، بل هو اللغة نفسها، يهيمن الأزرق بكل درجاته: الفيروزي الذي يشبه لون السماء في أيام الربيع، والنيلي العميق الذي يشبه ليل الأهوار. هذا الأزرق ليس خلفية، بل هو حاضنة كبرى تحتوي كل شيء. داخله تنفجر بقع حارة: أحمر يشبه دم الحياة، وأصفر ذهبي كأنه شمس لا تغيب، وأخضر عشبي يذكرنا بالقصب الذي ينمو رغم الملوحة. هذا التضاد المدروس يخلق طاقة بصرية لا تهدأ. العين لا ترتاح، بل تنتقل باستمرار بين البرودة والدفء، بين السكون والاشتعال، تماما كما هي الحياة في الأهوار بين الجفاف والفيضان.

على مستوى التقنية، يتعامل صبيح كلش مع السطح بعفوية مدروسة تقترب من التعبيرية التجريدية دون أن تتخلى عن الإشارة التشخيصية، السطح غني بالملامس. هناك كولاج، وتراكيب لمربعات ملونة صغيرة تشبه السجاد الجنوبي أو "الإزار" الذي ترتديه نساء الأهوار. وهناك حزوز وخدوش مقصودة، كأن اللوحة جدارية قديمة قاومت الريح والملح والزمن لتصل إلينا.

هذه الخشونة ليست ضعفا، بل هي صدق. إنها تقول للمتلقي: هذا الجنوب ليس صورة سياحية مصقولة، بل هو أرض تعبت وتشققت لكنها لم تستسلم.

من الناحية السردية، يمكن قراءة المعرض كملحمة واحدة من تسعة عشر فصلا، لا توجد فواصل حادة بين اللوحات، بل تتدفق الواحدة إلى الأخرى. نرى جاموسا يطل برأسه من بين الزخارف الهندسية كرمز للخصوبة والقوة الصامدة. نرى وجوها سمكية تسبح في الفراغ بلا ماء، كأنها أرواح تبحث عن موطن. نرى أطفالا بلا ملامح محددة يلعبون على ضفاف من لون. كل هذه العناصر لا تقدم الجنوب كجغرافيا، بل كحالة وجدانية. إنها "واقعية سحرية" عراقية خالصة، لا تحتاج إلى مرجع أدبي لاتيني، لأنها تنبع من تربة بابل نفسها، من زمن كان فيه البشر يتحدثون مع الآلهة والأنهار والطيور.

ما يميز صبيح كلش في هذه المرحلة هو قدرته على تطويع الإرث دون أن يستسلم له، فهو لم يقع في فخ النمطية التي حبست فنانين كثيرين داخل "لوحة الأهوار" النمطية: بيت من قصب، امرأة تغسل، طفل يصطاد. بل أخذ المفردة وحررها، أخذ القصب فحوله إلى خطوط هندسية، وأخذ الماء فحوله إلى مساحة لونية، وأخذ الطائر فحوله إلى فكرة. بهذا المعنى، فإن "طائر الجنوب" ليس معرضا عن الجنوب، بل هو معرض عن كيفية تذكر الجنوب، عن كيفية تحويل الذاكرة الفردية والجمعية إلى لغة بصرية يمكن أن يفهمها العالم.

المعرض يطرح سؤالاً مهماً عن الهوية: ما الذي يجعل العمل الفني عراقيا؟ هل هو الموضوع؟ هل هو استخدام الرموز المحلية؟ أم هو الطريقة التي ينظر بها الفنان إلى العالم؟

يجيب صبيح كلش عمليا: الهوية ليست قميصا نرتديه، بل هي طريقة تنفس. حين يرسم طائرا، يرسمه بجناحين من دجلة والفرات، وحين يرسم ماء، يرسمه بملوحة شط العرب. وحين يرسم إنسانا، يرسمه بظهر منحن من العمل، لكن بعينين مفتوحتين على الأمل.

في زمن تهاجم فيه الصور الرقمية السريعة أعيننا، يأتي هذا المعرض ليطلب منا التباطؤ، ليطلب منا أن نقف أمام اللوحة دقيقة، ثم دقيقة أخرى، حتى تبدأ الألوان بالتحرك، وحتى نسمع صوت الماء، هذا التباطؤ هو فعل مقاومة، مقاومة ضد النسيان، وضد الاختزال، وضد فكرة أن الجنوب مجرد ضحية. هنا يقدم صبيح كلش جنوباً فاعلاً، خلاقاً، قادراً على إنتاج الجمال من القصب ومن الطين ومن الفقد نفسه.

إلى فضل شاكر.. عاش من شافك

حنان مبروك
صحافية تونسية

في مطلع الألفينات، كان يكفي أن يذكر اسم فضل شاكر حتى تتردد في أذهان الناس أغنيات صنعت لهم أجمل الذكريات بذلك الصوت الحنون الذي يلامس القلوب بلا استئذان، قبل أن تنقلب حياته رأسا على عقب، كما انقلبت المنطقة العربية مع الربيع العربي. وكما دخلنا مرحلة ضبابية ما زلنا نبحث عن النور بعدها، دخل فضل شاكر في سنوات طويلة من المعارك والمحاكم والاتهامات، يقاتل فيها ليثبت شيئا واحدا فقط، أنه بريء.

سنوات من الشهادات، والأدلة، والوقائع التي أعادت فتح النقاش مرارا، أججت الرأي العام العربي ضده، ووضعته في مصاف الإرهابيين والقتلة والمنبوذين من الكثيرين، بعضهم كان من أبرز عشاقه، وسرعان ما انقلب عليه دون انتظار حكم قضائي يثبت إدانة المتهم.

13 سنة، عاشها الفنان مسجونا بقيود تدمي روحه، وتسكت صوته، وقبل أن يسلم نفسه للقضاء اللبناني ويسجن فعليا، عاش مسجونا داخل مخيم، لا يتحرك داخله بحرية، ولا يستطيع مغادرته، مهددا بالقتل والتصفية، وكلما زاره أحد لاحقته التهديدات ذاتها واستدعي للتحقيق معه، وكأن فضل قائد داعشي أو زعيم مافيا خطيرة، وليس فنانا أخطأ فجنى على نفسه ولم يجن على غيرها.

بقيت القيود تطارد الفنان، حتى حين حاول أن يعود إلى فنه وجمهوره، عاد محتشما، لكنه تصدر الترند، بأغنيات صورها في غرفة بيته البسيط، بهيئته البسيطة، ونظارته الشمسية التي تخفي تضرر عينيه من تعب جسدي تراكم عليه، فصار عاجزا عن حمله وتحمله. تعب يبدو في كل ملامحه، لكنه يتحرر منه بصوته الذي لا يزال حيا، عذبا، يصوب سهامه على الآذان فيخترقها بسهولة.

انتهى به الأمر منذ أيام قليلة إلى حرية مشروطة لا تسمح له بمغادرة لبنان. هلل محبوه وداعموه في العالم العربي بحريته وإن كانت مقيدة، انهالت التبريكات والتهاني مذكرة بأن الجمهور ينتظره ليغني مجددا وليعتلي أكبر المسارح العربية.

وأنا أشاهد ما حدث في مباراة مصر الأخيرة ضمن بطولة كأس العالم لكرة القدم، تذكرت فضل شاكر. قد يقول البعض ما الرابط بينهما، الجميع يقول إن تقنية الـ"VAR" جاءت لتنصف المظلوم، لكن حتى بوجودها قد يبقى الظلم قائما، وقد يخرج الحق مهزوما أمام أعين الجميع. وأحيانا تكون الحقيقة واضحة، لكن العدالة لا تصل إليها. وهذا ما يجعل الإنسان يؤمن بأن بين الحقيقة والحكم مسافة قد تكون طويلة جدا. هذا ما حدث مع فضل، فرغم الشهود والأدلة والملفات التي أعدها محامو الدفاع عنه لسنوات، لم ينصفه القضاء إلا بأعجوبة.

مع ذلك، هناك شيء لا تستطيع الأحكام مصادرته، ولا تستطيع السنوات قتله: إنه الموهبة، الصوت الذي يتخذه فضل شاكر بطاقة تعريفه الأولى.

يبدو كأن صنوف العذاب التي ذاقها فضل في طفولته طبعت صوته بمسحة من الحزن والحنان. تخلى عنه والداه وهو طفل صغير، ليكبر في ملجأ للأيتام، لك أن تتخيل أي شعور سكن قلب طفل والداه على قيد الحياة، بينهم كيلومترات أو ربما أمتار، لكنه يعيش في ملجأ ويعامل معاملة اليتيم وربما ينظر إليه على أنه "ابن علاقة غير شرعية". إنهما الفقر والحاجة اللذان أجبرا الوالدين على التخلي عن ولدهما وحفرا في قلبه وجعا لم يتجاوزه، ففي الفيلم الوثائقي عنه تحدث عن ماضيه وهو على مشارف الستين بعيني طفل باكيتين.

كبر فضل وكان صوته سلاحه الذي صوبه تجاه الفن، فكان يغني في السهرات الليلية و"تفوح" سيرته كنجم قادم على مهل، ثم صار نجما، لكن السلاح ذاته وجّهه إلى نفسه بنفسه، لينهي تجربته الفنية مبكرا. لحظة كانت صادمة للوسط الفني العربي، غيّرت صورته من الفنان الحساس إلى المقاتل الشرس، رغم أنه يؤكد أن الصورة الصادمة عنه تكونت جراء فيديوهات يستعرض فيها أفكاره فقط.

> هناك شيء لا تستطيع الأحكام مصادرته، ولا تستطيع السنوات قتله: إنه الصوت الذي يتخذه فضل بطاقة تعريفه الأولى

ولعل أجمل ما يمكن أن نتعلمه من قصة فضل شاكر أن الإنسان قد يخسر أشياء كثيرة بسبب الظلم، لكنه إذا حافظ على حقه في إثبات براءته، حافظ على هويته وموهبته، على صدقه مع نفسه، فإن الزمن قد يمنحه فرصة أخرى ليُسمع العالم صوته من جديد.

لقد وضحت في مقالة رأي سابقة أنني لا أكتب عن فضل شاكر لأدافع عن الفنان، لأنه لا علم لي بكل حيثيات القضايا المرفوعة ضده، لكنني متابعة لها منذ أول يوم أعلن فيه اعتزاله الفن وقرر أن يلتزم دينيا، ومتابعة لما حصل من لغط وأخبار بعدها، وأعرف جيدا كما يعرف الكثيرون أن هذه المرحلة الحرجة من تغيير الأفكار قد تلقي بثقلها على أي إنسان.

جميعنا يتغير ويغير أفكاره وقد يذهب أحيانا من النقيض إلى النقيض، يخطئ ويتعلم وينضج ثم يختار لنفسه مسارا واضحا يتبعه. فدعونا نستعدْ حق الإنسان في الفرصة الثانية، في التوبة وفي الإصلاح حتى وإن أخطأ، فلا فائدة من أن نصبح جميعنا جلادين أو قاطعي رؤوس ننتظر متى تصدر أحكام الإعدام في البشر فنعدمهم نفسيا وجسديا.

كتبت يومها: أؤمن بأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وقضية فضل شاكر ما زالت تحت أنظار القضاء اللبناني، وحده من يمكنه أن يصدر الحكم الفيصل، وتحرياته هي من ستجيب، ولا أظن أن شخصا في آخر الدنيا قد يُلمّ بتفاصيل القضية أكثر من القضاء والمتهم.

وفضل شاكر الذي سلبت حريته وعاش متخفيا، تمسك ببراءته وحوّل قضيته إلى قضية رأي عام، قضية يقول هو وكل من يناصره من فنانين وسياسيين وشخصيات عامة، إن السياسة وبعض رجالها استثمروا فيها كي يغيبوه عن الساحة الفنية، وكان كبش فداء لأنه بالأساس ابن مخيم عين الحلوة والصراع على الأرض اللبنانية متشعب وقليلون من يفهمونه.

في هذه الحكاية المعقدة، يخطر على بالي قول الشاعر والناقد الفرنسي شارل بودلير "ثمة حقّ منسيّ قد يهم الجميع أن يُعاد إليه الاعتبار، إنه الحق في التناقض"، جملة قالها بودلير الذي توفي عام 1867، ويبدو أننا منذ ذلك الزمن إلى اليوم لم نتعلم بعد أن الحق في التناقض حق إنساني مشروع، من حقي وحقك وحق الجميع أن نتغير ونناقض أنفسنا، حتى "نرسو على بر" يريحنا، لكن يبدو أننا كي نعيش حقنا في التناقض نحتاج إلى تعلّم حقنا في الصمت، فكما كان صوت فضل سلاحا له وعليه فكل كلمة يقولها المرء في لحظة انفعال ستكون حتما له أو عليه.

وربما كانت "يا غايب" في مسيرة فضل شاكر أكثر من عنوان أغنية، لقد أصبحت قدرا كتبه الزمن له. لقد غاب، لكن جمهوره ظل وفيا وكأنه يردد له "نسيت أنساك". حين أثقلته الحياة، بدا كأنه يقول "لو على قلبي" لتحملت كل هذا الوجع وحدي. ثم عاد محتشما يبحث عن مصالحة مع صوته، ليكتشف الناس من جديد أن ما كان بينهم وبينه لم يكن مجرد طرب، بل "أحلى رسمة" رسمتها الذكريات. حين قرر الاعتزال وقرر العودة، تساءل كثيرون "معقول" أن يغيب كل هذا الزمن ثم يعود كأنه لم يرحل؟ وكان الجواب يأتينا مع كل نغمة: "الله أعلم" كيف ينجو الفن الحقيقي رغم كل شيء.

تخطر على بالي أيضا كلمات أغنية فضل في مسلسل "لدينا أقوال أخرى"(2018) "يا دنيا كفاية خيانة شبعنا من التمثيل.. وأمانة عليكي أمانة.. لو شفتي حد أصيل.. تقوليلو يا عم فارقنا.. لا زمانك ولا دنيتنا.. دا زمان العايب فيه في السماء والحر ذليل".

وفضل شاكر قد تكون له في الفترة القادمة "أقوال أخرى"، أغنيات أخرى يستعيد بها مجده، وحفلات أخرى تعيده لجمهوره وللمكان الأول الذي احتضنه وأنساه الألم والطفولة المؤلمة والفقر، إلى حين ذلك نقول له "الحمد لله على السلامة.. عاش من شافك".

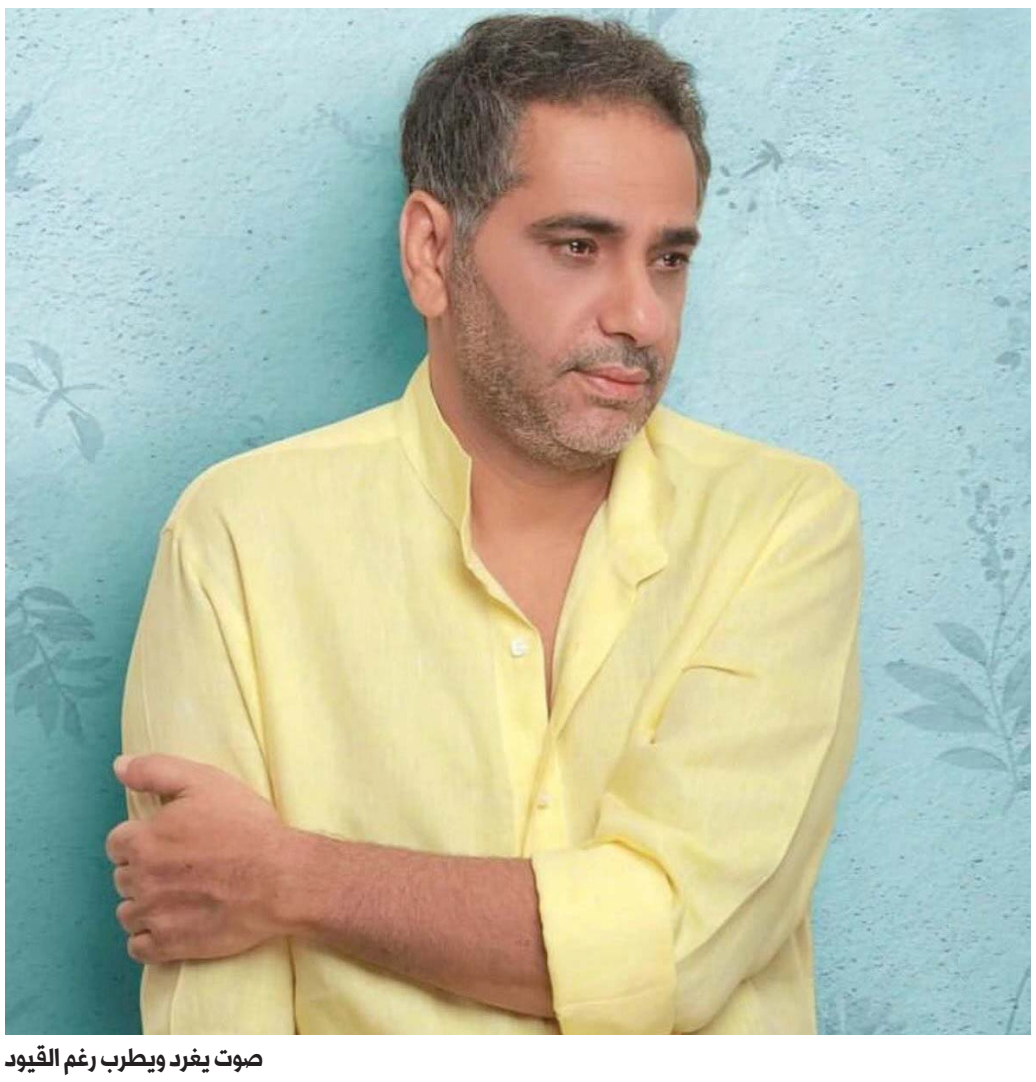

صوت يغرد ويطرب رغم القيود

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

صراع السلطة بين الدول وعمالقة التكنولوجيا

في عصر الذكاء الاصطناعي: من يمتلك الشرعية لصياغة الحوكمة

في عالم يتسارع فيه الذكاء الاصطناعي بوتيرة غير مسبوقة، يطرح سؤال الحوكمة نفسه كأولوية وجودية. تحذير الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش ليس مجرد دعوة تقنية، بل إنذار سياسي وأخلاقي يضع البشرية أمام مسؤولية عاجلة: هل نستطيع ضبط ما صنعناه قبل أن يتجاوزنا؟ النص التالي يستعرض أبعاد هذا التحدي.

علي قاسم
كاتب سوري

في سبتمبر 2024 وقف أنطونيو غوتيريش، الأمين العام للأمم المتحدة، أمام الجمعية العامة ليُطلق تحذيراً لم يُعهد بهذا المستوى من القوة والمباشرة من رجل يتعامل في الغالب بلغة الدبلوماسية الحذرة: الذكاء الاصطناعي يُمثل تهديدا وجوديا للإنسانية إذا لم تُبادر البشرية إلى وضع أطر حوكمة فعلية تسبق انفلات التكنولوجيا عن أي سيطرة.

ما يجعل هذا التحذير استثنائيا ليس محتواه، فكثيرون سبقوه إلى هذه القناعة، بل مصدره. غوتيريش ليس عالما في الحوسبة ولا ناشطا تقنيا ولا مفكرا في معهد أكاديمي. هو رأس المنظومة الأممية التي تُمثّل أعلى تجمّع للإرادة السياسية الدولية، وحين يتكلم رجل من موقعه بهذه اللغة، فالمعنى الضمني واحد: الوضع أكثر خطورة مما تُصوّره الاجتماعات الفنية في بروكسل وجنيف وسان فرانسيسكو.

> **الأطفال يعيشون داخل خوارزميات تُعيد تشكيل وعيهم، ما يهدد مستقبل التفكير النقدي وصياغة القوانين بعد عقود**

السؤال الذي يطرحه هذا التحذير ليس فنيًا بطبعه. إنه سؤال فلسفي وسياسي في جوهره: هل لا يزال الإنسان قادرا على ضبط ما صنعه؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب، فمن يملك السلطة والأدوات والإرادة الكافية للقيام بذلك؟

سباق بلا خط نهاية

منذ نشر آلان تورينغ ورقته الشهيرة عام 1950 التي وضعت الأسس النظرية لما سنسمّيه لاحقا الذكاء الاصطناعي، مرّ العالم بسبعة عقود من التطور التقني متفاوت الوتيرة. لكن ما شهده العقد الأخير، وخاصة السنوات الخمس الأخيرة، أعاد رسم المعادلة بصورة جذرية: القدرات التقنية باتت تتضاعف بمعدلات تتحدى قدرة المجتمعات على الاستيعاب ناهيك عن التنظيم. نماذج اللغة الكبيرة وأنظمة توليد الصور والفيديو وأدوات الاستدلال الآلي المتقدمة ظهرت في سنوات وليس خلال عقود، وانتشرت في أيام لا في سنوات، ووصلت إلى مئات الملايين من المستخدمين قبل أن تجري أي هيئة تنظيمية في العالم ولو دراسة منهجية واحدة لآثارها.

قانون الذكاء الاصطناعي الأوروبي، الذي احتاج إلى ما يزيد على ثلاث سنوات من النقاشات التشريعية قبل اعتماده، بات يُطبّق على جيل من التقنيات كانت موجودة حين بدأت المفاوضات وتجاوزتها أجيال لاحقة بحلول وقت التصويت. هذه الهوّة الزمنية ليست مجرد إشكالية بيروقراطية، بل هي عيب بنيوي في الطريقة التي تعمل بها الأنظمة التشريعية الحديثة: تُبنى على افتراض أن التكنولوجيا تتطور بوتيرة يمكن متابعتها، وهو افتراض نسف نفسه بنفسه في السنوات الأخيرة.

المجالات التي تجاوز فيها الذكاء الاصطناعي منظومة الرقابة القائمة لم تعد تقتصر على إدارة إعلانات فيسبوك أو توصيات يوتيوب. ففي قطاع الإعلام، أصبح توليد المحتوى الزائف والتحقق منه أسرع بكثير من قدرة هيئات التدقيق على اكتشافه. وفي التعليم تنتشر أدوات الغش المدعومة بالذكاء الاصطناعي داخل فصول دراسية تفتقر إلى سياسات واضحة للتعامل معها. أما في مجال الأمن، فقد بات بإمكان جهات غير حكومية تطوير أسلحة تعتمد على الذكاء الاصطناعي بمستوى من التعقيد لم يكن متاحا إلا للدول القوية قبل سنوات قليلة.

"الابتكار بلا حواجز"، كان شعار وادي السيليكون لعقود، مُغلّفا بخطاب التحرر التقني ودمقرطة المعرفة. لكن ما نراه اليوم يكشف أن البنية التقنية حين تُبنى خارج أي إطار مساءلة لا تنتج حرية أكثر، بل فوضى ذات توزيع غير متكافئ: الفوائد تتدفق نحو من يمتلك التقنية والبيانات ورأس المال، والمخاطر تتوزع على الجميع بالتساوي وأحيانا بالتفاوض.

الاقتصاد السياسي لهذه الفوضى يستحق التأمل. الشركات التقنية الكبرى، وهي في معظمها أميركية مع صعود صيني متسارع، لا تعارض التنظيم من حيث المبدأ في خطابها العلني. لكنها في الممارسة تُموّل جماعات الضغط التشريعية، وتُوظّف المسؤولين السابقين في الهيئات التنظيمية، وتضخ في أذهان صانعي القرار أن أي تنظيم متسرّع سيُهدر التفوق التكنولوجي الغربي أمام المنافسة الصينية. هذه الحجة لها وزنها الجيوسياسي الحقيقي، لكنها في الوقت ذاته أداة ابتزاز ناعمة تعني في ترجمتها الصريحة: نظّمونا، لكن ليس بما يُكلفنا الكثير.

الأطفال في قلب العاصفة

حين خصّص غوتيريش جزءا من تحذيره للحديث عن الأطفال وتأثير الذكاء الاصطناعي عليهم، لم يكن يُلقي محاضرة أخلاقية تقليدية عن أخطار الشاشات. كان يُشير إلى ظاهرة أكثر عمقا وأطول أمدا: إعادة هندسة الوعي الإنساني من جذوره في الأجيال التي تنشأ اليوم.

الطفل الذي يتفاعل مع عالمه الرقمي عبر خوارزميات تختار له المحتوى والمعلومات والصداقات ونماذج التفكير لا يعيش تجربة اختيار حقيقية. هو يعيش توهّم الاختيار داخل سقف مرسوم بدقة بواسطة أهداف تحسين مُبرمجة لتعظيم الانتباه والمشاركة لا لتعظيم النمو الإنساني أو البناء المعرفي. الدراسات المتراكمة على مدار العقد الماضي توثّق كيف أن التعرض المبكر لأنظمة التوصية يُقلّص تدريجياً هامش التشتت الإبداعي لدى الأطفال، ويُعوّدهم على الاستجابة الفورية بدلاً من التفكير المتأمّل، ويُضيّق تدريجيا دائرة المحتوى الذي يجد فيه الطفل المتعة إلى ما تُحدده الخوارزمية أنه الأكثر احتمالاً لإبقائه مرتبطا بالمنصة.

هذا ليس نظرية مؤامرة ولا ذعرا أخلاقيا مبالغا فيه. هو وصف دقيق لما تعترف به وثائق داخلية في شركات المنصات الكبرى أمام لجان الكونغرس والبرلمانات الأوروبية. الخوارزمية لا تكره الأطفال ولا تُريد لهم الأذى، لكنها لا تُبالي بنموهم أصلاً. هي تُبالي بمقياس وحيد: كم دقيقة يبقون؟

البعد الأخطر لهذه الظاهرة هو ما يمكن تسميته "مشكلة عقد الجيل". الأطفال الذين ينشأون اليوم في بيئة رقمية شكّلها الذكاء الاصطناعي سيكونون في موضع صانعي القرار السياسي والتنظيمي بعد عشرين سنة. إذا تشكّلت أدوات تفكيرهم الأساسية في بيئة لا تُكافئ التعقيد والتأمل والتناقض الخلّاق، فكيف سيكتبون الدساتير التنظيمية وينقدون الأنظمة التقنية ويُقيّمون الأدلة المتضاربة؟

هذا ما يجعل الحوكمة التربوية الرقمية ضرورة عاجلة وليست ترفا سياسيا. ليس بمعنى حجب التقنية عن الأطفال، فهذا مستحيل ويُنتج إقصاء اجتماعيا تعليميا يمسّ الفئات الأفقر أولاً، بل بمعنى إخضاع التقنيات الموجّهة إلى الأطفال لمعايير تشغيلية مختلفة جذريا عن تلك الموجّهة إلى البالغين. أهداف التحسين للمنصات التي يستخدمها الأطفال يجب أن تتضمّن مؤشرات تنمية معرفية لا مؤشرات انتباه فحسب. وهذا لا يحدث من تلقاء نفسه لأنه يتعارض مع نموذج أعمال قائم على بيع دقائق الانتباه. يحدث فقط حين يفرضه القانون.

نحو دستور رقمي عالمي

لم يتفق العالم على ميثاق الأمم المتحدة عام 1945 لأن القادة فجأة أدركوا فضيلة التعاون الدولي. اتفقوا لأنهم خرجوا من حربين عالميتين في ثلاثة عقود ورأوا بأعينهم ثمن غياب منظومة تنظيم دولية. الصدمة كانت شرط الإجماع. الخوف المشترك كان الغراء الذي أمسك ما لم يكن من الممكن تصوّر إمساكه في الأحوال العادية.

السؤال الذي يستحق الطرح بصدق هو: هل يحتاج العالم إلى صدمة مماثلة قبل أن يتحرك نحو حوكمة فعلية للذكاء الاصطناعي؟ الإجابة الصادقة هي: ربما نعم، وهذا بالضبط ما يُقلق. الفارق بين فوضى الحرب وفوضى الذكاء الاصطناعي هو أن الثانية قد لا تكون مرئية ولا آنية ولا قاطعة بما يكفي لتولّد الإجماع السياسي اللازم. الضرر قد يتراكم تدريجيا وبصمت: هويات متآكلة، ديمقراطيات مُضعَفة بالمعلومات المضللة، أسواق عمل مُعادة هيكلتها بسرعة تتجاوز قدرة المجتمعات على التكيف، أسلحة ذكية في أيدي جهات غير حكومية.

الأطفال في قلب العاصفة

الدستور الرقمي العالمي

فكرة ميثاق دولي للذكاء الاصطناعي يشبه في طموحه ميثاق الأمم المتحدة ليست خيالية في مضمونها لكنها عسيرة في تطبيقها لأسباب بنيوية عديدة.

العائق الأول هو غياب تعريف مشترك للخطر. في الحرب الباردة كان للأطراف اتفاق ضمني على أن الأسلحة النووية خطيرة بما يكفي لتستدعي معاهدات الحد من التسلح. لكن في الذكاء الاصطناعي، لا تتفق الأطراف حتى على تعريف ما هو خطر ومتى يصير كذلك. هل خطورة الذكاء الاصطناعي في التحيز في أنظمة التوظيف؟ في دمقرطة أسلحة الحرب السيبرانية؟ في تعديل الحمض النووي؟ في نماذج الاستدلال الفائق؟ كل طرف يُعرّف الخطر بما يتوافق مع مصالحه ومخاوفه الأيديولوجية، ومن دون تعريف مشترك، لا مفاوضة جدية.

العائق الثاني هو توزّع السلطة الحقيقية. في مفاوضات معاهدات الأسلحة النووية، كانت الدول هي من تمتلك السلاح. في الذكاء الاصطناعي، القوى الحقيقية مُوزّعة بين الدول والشركات الخاصة، وهذه الأخيرة لا تخضع للمفاوضات الدولية التقليدية. شركة ذات ثروة تتجاوز الناتج المحلي الإجمالي لدول متوسطة قادرة على تطوير ونشر أنظمة ذكاء اصطناعي بمعزل عن أي قرار حكومي. كيف تُبرم معاهدة مع طرف يمتلك القدرة التقنية لكنه ليس دولة ذات سيادة تُوقّع المعاهدات؟

العائق الثالث هو المنافسة الجيوسياسية التي تُحوّل الذكاء الاصطناعي إلى ساحة صراع لا طاولة تفاوض. الولايات المتحدة والصين تتنافسان على التفوق التقني بصورة تجعل أي تنسيق ثنائي جدي مُكلفا من الناحية الإستراتيجية. حين تُقنع واشنطن نفسها بأن التنظيم المتسرع سيمنح بكين أفضلية، وحين تتذرع بكين بالاستقلال التقني لرفض أي رقابة دولية، فالنتيجة هي فراغ تنظيمي في أكثر الميادين حساسية.

لكن غياب الأسهل لا يُلغي الضرورة. يمكن تصوّر مسار أكثر واقعية يبدأ من التنسيق القطاعي لا من الميثاق الشامل: معايير مشتركة للذكاء الاصطناعي في التعليم أولاً، نظرا لوضوح المصلحة المشتركة. ثم في الرعاية الصحية حيث تتقاطع المصالح البحثية. ثم تدريجيا نحو المجالات الأشد حساسية. هذا المنطق التراكمي القطاعي هو ما أتاح بناء الكثير من المؤسسات الدولية التي بدأت متواضعة ثم توسّعت: الوكالة الدولية للطاقة الذرية لم تُولد كاملة من المفاوضة الشاملة بل نمت تدريجيا مع اتساع الإجماع حول نطاق عملها.

من يكتب القواعد؟

النقاش حول حوكمة الذكاء الاصطناعي يُركّز عادةً على ما يجب تنظيمه: ما هي التطبيقات المحظورة؟ وما هي المعايير الواجبة؟ وما هي التعريفات المعتمدة؟ لكنْ ثمة سؤال سابق يُشكّل بشكل خفيّ كل هذه الإجابات: من يمتلك السلطة المشروعة لوضع هذه القواعد؟

الشركات التقنية الكبرى تُجيب ضمنيا: نحن. من يبني التقنية يعرف حدودها ومخاطرها أكثر من غيره، ويضع معايير الاستخدام الآمن. هذه الحجة ليست خالية من الصحة، لكنها تفترض أن مصالح الشركات وصلاح الإنسانية متّسقان بطبعهما، وهو افتراض يُكذّبه التاريخ الحديث للصناعة ذاتها في قضايا تجمع البيانات والمحتوى المضر والتلاعب بالرأي العام.

الدول الكبرى تُجيب: نحن. الدولة الوطنية، حتى في عصر العولمة، تبقى الحاضنة السيادية للمواطن وحقوقه، ومن ثم يعود إليها القرار النهائي. لكن هذه الإجابة تصطدم بحقيقة أن الذكاء الاصطناعي لا يعرف الحدود الوطنية: نموذج تدريب في سنغافورة يُنشر في البرازيل ويُستخدم في السنغال.

المجتمع المدني والأكاديمي يُجيبان: نحن، أو على الأقل يجب أن نكون جزءا من الإجابة. الخبرة التقنية والقانونية والأخلاقية متوفرة خارج الشركات والحكومات، ونماذج الحوكمة التي تُقصي هذه الأصوات تميل إلى إنتاج أطر تخدم المصالح الضيقة لمن هيمن على صياغتها.

الإجابة الأكثر صدقا هي أن أيّا من هؤلاء لا يكفي وحده، وأن المسألة في جوهرها مسألة تمثيل: من يجلس إلى الطاولة حين تُكتب القواعد، ومن يُمثل في عملية الصياغة مصالح من لا يمتلكون ثروة أو نفوذا تقنيا أو صوتا دبلوماسيًا؟ دول الجنوب العالمي التي ستتحمّل جزءا كبيرا من عبء إعادة هيكلة سوق العمل بفعل الأتمتة غائبة في معظمها عن طاولات الحوكمة الرئيسية. الجماعات التي يُعيد الذكاء الاصطناعي إنتاج التحيز ضدها في أنظمة التوظيف والقضاء والائتمان ليس لها صوت في المعايير التقنية للأنظمة التي تتأثر بها.

الحوكمة التي تُصاغ بلا تمثيل حقيقي لمن سيتحمّل الكلفة ستكون، مهما كانت محكمة في هندستها القانونية، شكلاً آخر من أشكال الهيمنة.

في خضم النقاشات التقنية والقانونية والسياسية، ثمة حقيقة بسيطة تغيب عن الجميع: الذكاء الاصطناعي لم يهبط من الفضاء الخارجي كقوة غريبة معادية للإنسانية. هو من صُنع الإنسان، ومُدرّب على بياناته، ومُصمّم لخدمة أهدافه. التحيزات التي تُعيدها الخوارزميات موجودة أصلاً في النصوص والصور والبيانات التي بنيت عليها. الميل إلى تعظيم الانتباه على حساب الجودة هو انعكاس لما يُثير فعلاً انتباه البشر حين لا توجد حواجز.

هذا لا يعني أن التنظيم لا جدوى منه، بل يعني عكس ذلك: التنظيم هو في جوهره سؤال الإنسانية عن القيم التي تريد أن تُترجَم في الأنظمة التي تبنيها. الأنظمة التقنية لا تمتلك قيما مستقلة، بل تُضخّم وتُعظّم ما يُدمج فيها. إذا دُمج فيها هدف تعظيم الربح وحده، ستُعظّم الربح حتى على حساب الضرر. إذا دُمجت فيها معايير الجودة المعرفية والسلامة الاجتماعية، ستميل إلى إنتاجها.

هذا هو الرهان الحقيقي في معركة الحوكمة: ليس إيقاف التقنية ولا تقييد الابتكار بالمعنى الضيق، بل تحديد ما الذي نريد أن تُضخّمه وتُعظّمه هذه التقنية في حياة البشر. وهذا قرار لا يستطيع أن يتخذه مهندس الخوارزميات وحده في غرفة مضاءة بشاشات الكمبيوترات، بل يستلزم حوارا اجتماعيا وسياسيا وأخلاقيا واسعا يستوعب التنوع الحقيقي للإنسانية في مصالحها ومخاوفها وطموحاتها.

قبل أن تُكتب الشيفرة الأخيرة

التوقيت الذي تُطرح فيه أسئلة الحوكمة يُحدد نوع الإجابات الممكنة. حين أدرك البشر خطورة الأسلحة الكيميائية بعد أن استُخدمت في الحرب العالمية الأولى، جاءت المعاهدة الدولية لحظرها بعد سنوات من الضرر الفعلي. حين أدركوا خطر الانتشار النووي في الخمسينات، أنتجوا معاهدة عدم الانتشار بعد أن انتشر السلاح بالفعل في أيدي قوى متعددة. نمط التأخر متكرر ومُكلف.

أنطونيو غوتيريش

> **الذكاء الاصطناعي يُمثّل تهديدا وجوديا إن لم نُبادر إلى وضع أطر حوكمة**

الفارق الذي يجعل الذكاء الاصطناعي اختباراً بالغ الخصوصية هو أن بعض الأضرار المحتملة لا يمكن التراجع عنها: إذا أصبحت الأنظمة الذكية قادرة على إعادة هندسة نفسها بمعدلات تتجاوز فهم مصمّميها، فإن نافذة الضبط الإنساني ستضيق حتى تنغلق. لا أحد يعرف بيقين متى تبدأ هذه المرحلة ولا ما هي دقيقة التحول. لكن من يقرأون أدبيات الذكاء الاصطناعي بجدية يُدركون أن هذه إمكانية يجب أن تُبنى الأطر التنظيمية استباقا لها لا ردا عليها.

الحوكمة الجيدة لا تُوقف الابتكار، بل توجّهه. التطور الطبي لم يتوقف بسبب معايير التجارب السريرية، بل صار أكثر مصداقية وأمانا بوجودها. الطيران لم يتراجع بسبب معايير السلامة، بل ازدهر في ظلها. الذكاء الاصطناعي يمكن أن يتبع هذا النمط إذا توفرت الإرادة السياسية والكفاءة المؤسسية والتمثيل العادل.

ما يقوله غوتيريش، وما يُردّده معه العديد من العقول التي تفكّر جديا في مستقبل التقنية، هو أن اللحظة الراهنة ليست أزمة بل فرصة؛ فرصة لأن يختار البشر بصدق ووعي ما يريدون أن تفعله هذه التقنية في حياتهم وحياة أطفالهم وحياة من سيأتون بعدهم. هذا الاختيار لا يحتمل التأجيل إلى أجل غير مسمى.

حين يسبق العقل القانون، يصبح المستقبل رهينة لمن يكتب الشيفرة لا لمن يكتب الدساتير. ولا يزال أمام من يكتبون الدساتير وقت، وإن كان يتآكل بسرعة لم يعهدها صانعو القوانين من قبل.

إسبانيا تتحدى صحوة بلجيكا في مساعيها نحو النجمة الثانية في بطولة كأس العالم

حصانة دفاعية كبيرة مدعمة بمنظومة جماعية متوازنة

يسعى المنتخب الإسباني الملقب بـ"الماتادور" إلى تخطي عقبة المنتخب البلجيكي في ربع نهائي بطولة كأس العالم لكرة القدم، وسط تعويل كبير على أسلوبه الجماعي وجودة لاعبيه الفنية، في سعي إلى تحقيق النجمة الثانية بعد التتويج في جنوب أفريقيا سنة 2010.

لوس أنجلس (الولايات المتحدة) - يواصل منتخب إسبانيا بطل أوروبا مساعيه نحو تحقيق النجمة الثانية في بطولة كأس العالم لكرة القدم متحديا نظيره البلجيكي في مواجهة أوروبية خالصة تبدأ في العاشرة مساء الجمعة بتوقيت مكة المكرمة في إطار منافسات دور الثمانية لمونديال 2026 المقام حاليا في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك.

وبات الإسبان على بعد ثلاث مباريات من تحقيق حلم رفع كأس العالم للمرة الثانية بعد 16 عاما من التتويج باللقب الأول بالفوز 1 – 0 على هولندا في المباراة النهائية لمونديال 2010 بجنوب أفريقيا.

يتجدد اللقاء بين الفريقين في بطولة كأس العالم للمرة الثالثة، بعدما فازت بلجيكا على إسبانيا بركلات الترجيح لتتأهل إلى نصف نهائي مونديال 1986 في المكسيك، وبعدها بأربعة أعوام رد الماتادور اعتباره بالفوز 2 – 1 في مباراة بالدور الأول من مونديال 1990 الذي أقيم في إيطاليا.

ويتسلح أبطال يورو 2024 بعدد من عوامل القوة مثل الصلابة الدفاعية للفريق، حيث يبقى منتخب إسبانيا الوحيد الذي لم تهتز شباكه في مونديال 2026 محققا رقما قياسيا بالخروج بشباك نظيفة في 6 مباريات متتالية، أي ما يمثل أكثر من 10 ساعات من اللعب، بخلاف قوة نتائج الفريق في الأدوار الإقصائية تحت قيادة المدير الفني الحالي، لويس دي لا فوينتي.

فازت إسبانيا تحت قيادة دي لا فوينتي بجميع مبارياتها الست في الأدوار الإقصائية بالبطولات الكبرى، كما أن إسبانيا تتفوق تاريخيا على بلجيكا في المواجهات المباشرة، حيث فاز لاعبوها في 9 من آخر 11 مباراة جمعت الفريقين، منذ فوز بلجيكا بنتيجة 2 – 1 في يورو 1980، بينما انتهت آخر مواجهة بين الفريقين بفوز إسبانيا 2 – 0 في مباراة ودية أقيمت خلال سبتمبر 2016.

> منتخب إسبانيا لم تهتز شباكه في مونديال 2026، حيث حقق رقما قياسيا بالخروج بشباك نظيفة في 6 مباريات متتالية

في الجهة الأخرى يأمل المدرب الفرنسي رودي جارسيا المدير الفني لمنتخب بلجيكا التأهل لنصف نهائي كأس العالم للمرة الرابعة في تاريخ الشياطين الحمر، وتكرار سيناريو إقصاء الإسبان من نفس الدور مثلما حدث في مونديال 1986.

في طريقهما نحو دور الثمانية، تجاوز الفريقان صدمة البداية في دور المجموعات، حيث استهل المنتخب الإسباني مشواره بتعادل محبط مع الرأس الأخضر التي تشارك في بطولة كأس العالم لأول مرة في تاريخها قبل أن يفوز 4 – 0 على السعودية و1 – 0 على أوروغواي، ليتصدر المجموعة الثامنة.

وفي دور الـ32 فازت إسبانيا بسهولة على النمسا بثلاثية دون رد، قبل أن تطيح بالبرتغال في دور الـ16 بهدف قاتل سجله ميكيل ميرينو في الوقت بدل الضائع من الشوط الثاني، ليرد الماتادور اعتباره من الخسارة أمام جاره الإيبيري الذي هزمه بركلات الترجيح في نهائي دوري أمم أوروبا العام الماضي 2025.

وعلى عكس التوقعات، لم يكن طريق منتخب بلجيكا مفروشا بالورود في المجموعة السابعة، حيث استهل مشواره بتعادلين بشق الأنفس مع مصر وإيران قبل أن يكتسح نيوزيلندا بنتيجة 5 – 1.

وفي الأدوار الإقصائية عاشت بلجيكا لحظات درامية عديدة، ففي دور الـ32 قلبت تأخرها أمام السنغال بهدفين لتتعادل 2 – 2 قبل لحظات من انتهاء الوقت الأصلي للمباراة، وحسم الشياطين الحمر تفوقهم بنتيجة 3 – 2 بهدف القائد يوري تيليمانس من ركلة جزاء احتسبت في الثواني الأخيرة من الشوط الإضافي الثاني قبل لحظات من اللجوء إلى ركلات الترجيح.

وكانت الإثارة الأكبر في الفوز 4 – 1 على الولايات المتحدة في دور الـ16 وسط ضجة كبيرة بعد تدخل الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشكل مباشر عبر التواصل مع الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) الذي رفع الإيقاف عن المهاجم فولارين بالوجون رغم حصوله على بطاقة حمراء في مباراة البوسنة والهرسك بدور الـ32.

واحتفل المنتخب البلجيكي بآخر أهدافه بتقليد رقصة شهيرة للرئيس الأميركي ترامب داخل أرض الملعب.

روح جماعية

وعلى مستوى الاستعدادات الفنية للفريقين، كسب جارسيا رهانه على إبقاء نجوم الفريق كيفين دي بروين وجيريمي دوكو وروميلو لوكاكو كأوراق رابحة على مقاعد البدلاء، مستفيدا من جهود عناصر أكثر جاهزية فنيا وبدنيا مثل لياندرو تروسارد وتيليمانس وهانز فاناكين وتشارلز دي كيتيلير، بينما كان لوكاكو مؤثرا للغاية بتسجيله 3 أهداف في مشوار بلجيكا بهذه النسخة بعد دخوله كبديل، ليعزز تصدره لقائمة الهداف التاريخي لمنتخب بلاده بوصوله إلى 93 هدفا.

وقبل الاكتفاء بالجلوس بديلا في مواجهة أميركا، تم استبدال دي بروين في أول أربع مباريات في بطولة كأس العالم لكرة القدم، بعدما خاض 13 مباراة متتالية كاملة في المونديال، وقد يكون ورقة رابحة أمام إسبانيا.

في المقابل خسر جارسيا جهود لاعب الوسط أندريه أونانا بعد إصابته بقطع في الرباط الصليبي للركبة ليتأكد غيابه عن الملاعب لفترة طويلة، إلا أن المدرب الفرنسي انتشل بلجيكا من صدمة توديع مونديال قطر 2022 من الدور الأول، والذي كان بنذر بنهاية جيل ذهبي، وانطلق به بقوة بسلسلة نتائج قوية وسجل خال من الهزائم في 18 مباراة متتالية.

ويرتكز منتخب إسبانيا على عناصر هجومية بارزة مثل لامين يامال وميكيل أويارزابال وبيدري ودااني أولمو، وفيران توريس ومعهم قائد الوسط رودري إضافة إلى صلابة رباعي الدفاع مارك كوكوريا وبيدرو بورو وباو كوبارسي وآيمريك لابورت ومعهم حارس المرمى أوناي سيمون.

في الجهة الأخرى يتسلح منتخب بلجيكا بعدد من عناصر الخبرة مثل حارس المرمى تيبو كورتوا ولوكاكو ودي بروين، والظهير الأيمن توماس مونييه مع رئات هجومية مثل لوكيباكيو وتروسارد ودي كيتيلير.

الاتحاد المصري لكرة القدم يجدد عقد حسام حسن بعد النجاح في المونديال

القاهرة - أعلن رئيس الاتحاد المصري لكرة القدم، هاني أبوريدة، موافقة مجلس إدارة الاتحاد على تجديد التعاقد مع حسام حسن، المدير الفني للمنتخب الوطني الأول، وإبراهيم حسن مدير المنتخب.

وأشار الاتحاد المصري في بيان رسمي الأربعاء إلى أن هذه الخطوة تأتي في إطار حرص المجلس على استكمال المشروع الفني للمنتخب الوطني، والبناء على ما تحقق من إنجازات تاريخية لكرة القدم المصرية خلال الفترة الماضية.

وأوضح رئيس الاتحاد أن مجلس الإدارة سيستكمل الإجراءات الخاصة باعتماد وتجديد التعاقد، خلال اجتماعه المقبل، وذلك فور عودة بعثة المنتخب الوطني إلى مصر.

ويتولى حسام حسن قيادة منتخب مصر منذ أوائل فبراير 2024، وقاد منتخب بلاده إلى التأهل لكأس أمم أفريقيا 2025 وكأس العالم 2026 دون هزيمة.

وفي كأس الأمم حصل المنتخب المصري على المركز الرابع بعد خسارته بركلات الترجيح أمام نيجيريا في مباراة تحديد الفائز بالميدالية البرونزية.

أما في مونديال 2026 فقد ودع الفراعنة بخسارة درامية أمام الأرجنتين بنتيجة 2 – 3، الثلاثاء، ضمن منافسات دور الـ16، وذلك في أول ظهور لمنتخب مصر في الأدوار الإقصائية بتاريخ مشاركته في بطولة كأس العالم لكرة القدم.

من جانبه قال مصطفى أبوزهرة عضو مجلس إدارة الاتحاد المصري لكرة القدم "بعد عودة بعثة منتخب مصر سوف تتم مناقشة كافة التفاصيل الخاصة بتجديد عقد حسام حسن حتى 2030".

وأضاف أبوزهرة في تصريحات تلفزيونية "حسام حسن مدرب استثنائي وجاء بإرادة شعبية، والجميع كان يدعمه بشدة خلال فترة عمله، وهو يمتلك الحماس والطموح".

وتابع "لدينا مشروع كبير لكرة القدم المصرية سوف نتحدث عنه بشكل موسع عقب العودة من الولايات المتحدة، ونتمنى أن تستمر تلك الصحوة في الكرة المصرية".

> حسام حسن يتولى قيادة المنتخب منذ فبراير 2024، وقاد الفراعنة إلى التأهل لكأس أمم أفريقيا وكأس العالم دون هزيمة

وختم بالقول "تم إبلاغنا بأنه سيكون هناك استقبال شعبي كبير، ونحن سعداء بالتأكيد بما تحقق وكنا نتمنى المزيد بالطبع، ولكن قدر الله وما شاء فعل".

وبعدما أصبح أول مصري يشارك في بطولة كأس العالم كلاعب ومدرب، قاد أفضل هداف في تاريخ مصر بلاده إلى الفوز على نيوزيلندا في المجموعة السابعة، لتحتل المركز الثاني وتتأهل لمرحلة خروج المغلوب للمرة الأولى، إذ تخطت أستراليا بركلات الترجيح في دور الـ32 لتواجه الأرجنتين بحثا عن مقعد في دور الثمانية.

لكن مصر فرطت في تقدمها (2 – 0) قبل 11 دقيقة من النهاية لتستقبل ثلاثة أهداف، وتغادر بطولة كأس العالم بعد أبرز مشاركة لها في النهائيات.

وتولى حسن (59 سنة) تدريب مصر في فبراير 2024، وقاد المنتخب إلى بلوغ المربع الذهبي في بطولة كأس أمم أفريقيا 2025، إضافة إلى التأهل لبطولة كأس العالم 2026 للمرة الأولى منذ ثماني سنوات.

وخلال فترة قيادته للمنتخب، حقق حسام حسن 20 انتصاراً في مقابل ست هزائم وتسعة تعادلات، وهو ما يعكس استقرارا فنيا أسهم في تحقيق النتائج الإيجابية ودعم قرار الاتحاد باستمراره في قيادة الفراعنة خلال المرحلة المقبلة.

كفاءة محلية

تألق بيكفورد يخطف الأضواء بدور الـ16 لكأس العالم

نيويورك - كان الإنجليزي جوردان بيكفورد، والنرويجي أورجان نيلاند، والبرتغالي ديوجو كوستا، من بين حراس المرمى الذين حققوا تقدما ملحوظا في تصنيفات الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) للقوة بعد مباريات دور الـ16 في بطولة كأس العالم لكرة القدم 2026.

وواصل حراس المرمى تأثيرهم على أبرز لحظات بطولة كأس العالم، حيث عكست أحدث تصنيفات فيفا للقوة سلسلة من الأداءات الحاسمة في دور الـ16.

وتستخدم تصنيفات فيفا للقوة مقاييس متقدمة لقياس تأثير اللاعبين طوال البطولة، حيث يتم تقييم حراس المرمى ضمن فئتين: "الاستحواذ على الكرة"، التي تكافئ المساهمات في بناء الهجمات وتوزيعها، و"الدفاع عن المرمى"، التي تركز على الإجراءات الأقرب إلى المرمى، بما في ذلك التصديات ومنع الأهداف.

وحولت مباريات دور الـ16 تصنيفات القوة من جدول يظهر ثبات الأداء في دور المجموعات إلى قصة تأثير حاسمة في الأدوار الإقصائية للمونديال المقام حاليا في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا.

وتصدر كوستا، حارس مرمى البرتغال، قائمة تصنيف "الدفاع عن المرمى" بعد أدائه المذهل بين الخشبات الثلاث في مباراة فريقه التي خسرها بنتيجة 0 – 1 أمام إسبانيا، بينما حافظ رونين ويليامز، حارس مرمى جنوب أفريقيا، على صدارته في تصنيف "الاستحواذ على الكرة"، رغم خروج فريقه من البطولة في دور الـ32 على يد منتخب كندا.

كما خرج فوزينيا، حارس مرمى الرأس الأخضر، من البطولة في الدور السابق، ولكن بعد خسارة مثيرة في الوقت الإضافي أمام الأرجنتين حاملة اللقب، وساهم أداؤه في تلك المباراة وطوال البطولة في جعله أفضل حارس مرمى شامل، حيث جاء ثانيا في الاستحواذ على الكرة وسابعا في الدفاع عن المرمى.

واستعرض موقع فيفا بعض أبرز الحراس الذين حققوا تقدما ملحوظا في التصنيف خلال دور الـ16.

وقفز بيكفورد ثمانية مراكز ليحتل المركز الرابع بعد أدائه الشجاع في فوز إنجلترا المثير على المكسيك، حيث لعب دورا محوريا في هجوم ودفاع منتخب الأسود الثلاثة.

> جوردان بيكفورد قفز ثمانية مراكز ليحتل المركز الرابع بعد أدائه الشجاع في فوز إنجلترا المثير على المكسيك

ونجح حارس المرمى الإنجليزي في اختراق خط الدفاع عشر مرات، وتصدى لثلاث تسديدات من أصل خمس.

ولم تستحوذ إنجلترا على الكرة إلا بنسبة 31.5 في المئة، لذلك كان لتمريرات حارس إيفرتون وحمايته للمرمى دور حاسم في مباراة كان على المنتخب الإنجليزي فيها الصمود والتسجيل.

كما حقق بيكفورد قفزة كبيرة في تصنيف "الدفاع عن المرمى"، حيث ارتقى عشرة مراكز ليحتل المركز الثامن.

العرب
الجمعة 2026/07/10
السنة 49 العدد 13857

«الكر».. حزام الأمان إلى قمم النخيل

قبل أن تتولى الآلات الحديثة مهمة الوصول إلى أعالي النخيل، كان "الكر" رفيق المزارع الأول، وأداته التي حملت خبرته وشجاعته فوق جذوع النخيل. بحركة متقنة وتوازن دقيق، صنع المتسلقون قصصًا من المهارة والصبر، لتبقى هذه الأداة شاهدًا على تراث زراعي عريق.

شاهد على مهارة النكّالين

الرياض - من بين الأدوات التراثية المرتبطة بزراعة النخيل في المملكة العربية السعودية، تبرز أداة "الكر" بوصفها إحدى أهم الوسائل التي رافقت المزارعين في رحلتهم الطويلة مع النخلة، إذ مكّنتهم من الصعود إلى أعاليها عبر عقود طويلة قبل ظهور الوسائل الحديثة، ولا تزال حاضرة في الكثير من المزارع حتى اليوم لما تتميز به من كفاءة وسرعة في الوصول إلى قمة النخلة، وإنجاز مختلف العمليات الزراعية التي تتطلب الوصول إلى مناطق مرتفعة من الشجرة.

ويمثل "الكر" جزءًا أصيلًا من الموروث الزراعي السعودي، فهو ليس مجرد أداة مساعدة للصعود، بل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمهنة "الطالع" أو "النكّال"، وهو الشخص المتخصص في صعود النخيل، الذي يمتلك مهارة عالية اكتسبها عبر سنوات من التدريب والممارسة. وتعد هذه المهنة من الأعمال الزراعية التي تحتاج إلى خبرة دقيقة، لما تتطلبه من قوة بدنية، وقدرة على حفظ التوازن، ومعرفة بطبيعة النخلة ومراحل نموها، إذ يقوم المتسلق بمهام متعددة تشمل تلقيح النخيل، وتقويس العذوق، وتنظيف الجذوع، والتكريب، وإزالة السعف اليابس، إضافة إلى جني الرطب والتمور في مواسم الحصاد.

وفي منطقة القصيم، التي تعد من أبرز مناطق زراعة النخيل وإنتاج التمور في المملكة، لا يزال مشهد المتسلق وهو يحمل "الكر" ويصعد جذوع النخيل حاضرًا في العديد من المزارع، خصوصًا خلال مواسم الخدمة الزراعية والحصاد. ويجسد هذا المشهد استمرار موروث زراعي تناقلته الأجيال، حيث تلتقي الخبرة المتراكمة بالمهارة اليدوية، ويظهر تقدير المزارعين للنخلة التي تمثل رمزًا للعطاء والارتباط بالأرض والهوية الوطنية.

وتتكون أداة "الكر" في صورتها التقليدية من حزام يحيط بجذع النخلة وجسم المتسلق، ويصنع غالبًا من ليف النخيل المجدول والحبال القوية التي تتحمل الاستخدام المتكرر. وقد شهدت هذه الأداة خلال السنوات الأخيرة بعض التطورات في صناعتها، إذ دخلت عليها مواد جديدة مثل الأسلاك المعدنية، والأقمشة المبطنة، والمواد الصناعية المقاومة للاهتراء، مع المحافظة على فكرتها الأساسية القائمة على تثبيت المتسلق حول جذع النخلة وتمكينه من الصعود بصورة أكثر أمانًا وراحة.

ويعتمد أسلوب الصعود باستخدام "الكر" على إحاطة جذع النخلة بالحزام، ثم يبدأ المتسلق في الارتفاع تدريجيًا من خلال الاعتماد على قوة القدمين واليدين، وتحريك الأداة خطوة بعد أخرى إلى الأعلى. وتتطلب هذه العملية توافقًا دقيقًا بين حركة الأطراف وتوازن الجسم، إلى جانب خبرة في التعامل مع اختلاف أحجام جذوع النخيل وملمسها ودرجة استقامتها. فالمتسلق المحترف لا يعتمد على القوة فقط، بل يمتلك قدرة عالية على تقدير المسافات والتحكم في الحركة بما يضمن سلامته وسرعة إنجاز مهمته.

ولا يقتصر استخدام "الكر" على موسم جني التمور، بل يرافق النخلة طوال العام، إذ يعد أداة أساسية في مختلف مراحل خدمتها الزراعية. ففي فصل الربيع يستخدم خلال عمليات التلقيح التي تعد من أهم مراحل إنتاج الثمار، كما يستخدم في إزالة السعف القديم، وتنظيم العذوق وربطها، ومتابعة نمو الثمار وحمايتها، وصولًا إلى مرحلة نضج الرطب والتمور وجنيها. ولهذا ارتبطت الأداة مباشرة بدورة إنتاج التمور، وأصبحت جزءًا لا ينفصل عن حياة المزارع اليومية.

ومع مرور الزمن تحولت صناعة "الكر" إلى حرفة يدوية متوارثة، يحرص الحرفيون على إتقانها من خلال اختيار المواد المناسبة، وجودة النسج، وقوة التحمل، مع مراعاة راحة المستخدم وعوامل السلامة. ويعمل صانعوا الأداة على تطوير شكلها بما يتناسب مع احتياجات المزارعين، لتجمع بين المحافظة على الطابع التراثي والاستفادة من التقنيات الحديثة التي تزيد من كفاءتها وعمرها الافتراضي.

وأكد أحد المزارعين، ويدعى عبدالرحمن المحسن، أن "الكر" أسهم عبر السنين في المحافظة على استمرارية مهنة صعود النخيل، التي تعد من أكثر المهن الزراعية دقة وحساسية، مبينًا أن المتسلق المحترف يستطيع إنجاز أعماله في عدد كبير من النخيل خلال اليوم الواحد بفضل مهارته وسرعته في استخدام الأداة. وأوضح أن دخول بعض الوسائل الميكانيكية والرافعات الحديثة إلى المزارع الكبيرة لم ينهِ حضور وسيلة "الكر"، إذ ما زالت تستخدم على نطاق واسع في المزارع التقليدية والمواقع التي يصعب وصول المعدات إليها، كما يفضلها الكثير من المتخصصين لخفتها وسهولة التعامل معها وانخفاض تكلفتها مقارنة بالوسائل الحديثة.

وتكشف قصة "الكر" عن أداة بسيطة في مكوناتها، لكنها عظيمة في أثرها، فقد أسهمت على مدى عقود طويلة في خدمة الملايين من أشجار النخيل، وساعدت على استمرار مهنة عريقة ارتبطت بتاريخ الزراعة في المملكة. كما تمثل شاهدًا حيًا على براعة الإنسان السعودي في ابتكار الأدوات التي تلائم بيئته وتخدم احتياجاته، وعلى العلاقة الوثيقة بين الإنسان والنخلة التي كانت ولا تزال مصدرًا للرزق والغذاء، ورمزًا للكرم والعطاء والأصالة.

إيقاعات كوبية تجمع جمهور الجاز في طبرقة

طبرقة (تونس) - استحوذت الإيقاعات الكوبية، مساء الأربعاء، على أجواء مسرح البحر في مدينة طبرقة بتونس، خلال الحفل الذي أحياه الفنان الكوبي راؤول باز ضمن فعاليات الدورة العشرين من مهرجان طبرقة الدولي للجاز، حيث نجح منذ اللحظات الأولى في إقامة تواصل مباشر مع الجمهور الذي تفاعل مع مختلف فقرات العرض بالغناء والتصفيق والرقص.

واعتلى راؤول باز الركح حاملا غيتاره، وقدم عرضا اتسم بالحيوية، إذ لم يقتصر حضوره على الغناء والعزف، بل اعتمد أداء ركحيا قائما على الحركة المستمرة والتفاعل مع أعضاء فرقته والجمهور، وهو ما أضفى على السهرة طابعا احتفاليا امتد طوال الحفل.

واستند العرض إلى فرقة موسيقية متجانسة، أسهم كل عنصر فيها في بناء الهوية الصوتية للعمل. فقد تولى البيانو رسم الخطوط اللحنية المستوحاة من الجاز والموسيقى الكوبية، فيما حافظ الباص على التوازن الإيقاعي ومنح المقطوعات عمقا وانسيابية، بينما قاد عازف الدرامز التحولات الإيقاعية بإيقاع متجدد حافظ على نسق العرض.

كما أضفت آلات الإيقاع اللاتينية حضورا واضحا، مستحضرة الألوان الموسيقية المرتبطة بالتراث الشعبي الكوبي، في حين ساهمت الكمنجة في إثراء البناء اللحني عبر حوارات موسيقية مع صوت راؤول باز وغيتاره، بما وفر توازنا بين القوة الإيقاعية والبعد التعبيري للأغنيات.

ولعب الغيتار دورا محوريا في العرض، إذ بدا جزءا من شخصية الفنان وأسلوبه في الأداء، متنقلا بين العزف الإيقاعي والمقاطع اللحنية، بالتوازي مع تواصله الدائم مع الجمهور، الذي تجاوب مع دعواته المتكررة للمشاركة بالتصفيق وفق إيقاعات مختلفة، حتى تحول تصفيق الحاضرين إلى عنصر مكمّل للأداء الموسيقي.

طاهرة حميمش تدخل السينما المصرية بـ«فيزا»

الرباط - تستعد الفنانة المغربية طاهرة حميمش لخوض أولى تجاربها السينمائية، من خلال مشاركتها في الفيلم المصري الجديد "فيزا" الذي يرتقب أن ينطلق عرضه في القاعات السينمائية المصرية ابتداء من 30 يوليو الجاري ، على أن يشق طريقه لاحقا إلى عدد من دور العرض في دول الشرق الأوسط، في خطوة تمثل محطة جديدة في مسيرتها الفنية.

وتأتي هذه التجربة بعد مرور سنوات من الحضور المتواصل لطاهرة حميمش في الدراما التلفزيونية، حيث نجحت في ترسيخ اسمها من خلال مشاركاتها في أعمال مغربية ومصرية، قبل أن تنتقل إلى الشاشة الكبيرة عبر هذا العمل، الذي يشكل أول ظهور لها في فيلم سينمائي طويل.

وكشفت الفنانة المغربية عن خبر مشاركتها في الفيلم عبر حسابها الرسمي على منصة إنستغرام، حيث شاركت متابعيها الإعلان الترويجي للعمل، مؤكدة موعد انطلاق عرضه في مصر، وقد عبّرت عن تحمّسها لهذه التجربة الجديدة، في انتظار الإعلان عن مواعيد طرح الفيلم في بقية الأسواق العربية. وتؤدي طاهرة حميمش في "فيزا" دورا محوريا ضمن أحداث الفيلم، إذ تشارك البطولة إلى جانب نخبة من الممثلين، من بينهم ثلاثة ممثلين مصريين سبق لهم تسجيل حضور في عدد من الإنتاجات الهوليوودية، وهم سامي الشيخ وعصام فارس وأيمن سمان، ما يمنح العمل بعدًا دوليًا ويعزز من قيمة طاقمه الفني.

جزر في صقلية.. سحر وخصوصية

روما - تقدم الجزر الصغيرة في صقلية خيارات متنوعة تلبي اهتمامات عشاق المغامرة والطبيعة والثقافة، وتمنح الزوار تجربة سفر هادئة تكشف جانبا مختلفا من سحر البحر المتوسط بعيدا عن الوجهات السياحية التقليدية المزدحمة.

ولا تختصر روعة صقلية في شواطئها الشهيرة ومدنها التاريخية فقط، بل تمتد إلى أرخبيلاتها وجزرها الصغيرة التي توفر تجربة متوسطية أصيلة تشمل المناظر الطبيعية الخلابة والتقاليد المحلية والمواقع الأثرية والأنشطة البحرية، في أجواء تجمع بين الاسترخاء والاكتشاف.

وتعد جزر إيوليا من أبرز الوجهات التي تجذب الباحثين عن التجارب الفريدة، إذ تشتهر ببراكينها النشطة مثل سترومبولي وفولكانو، وتوفر مسارات للمشي وسط الطبيعة البركانية، إلى جانب قرى ساحلية ومواقع أثرية تعكس تاريخ المنطقة العريق.

كما تمنح الجزر زوارها فرصة للاستمتاع بمياه البحر الصافية والمناظر الساحلية التي تجمع بين الجبال والبحر.

وتبرز جزيرة أوستيكا، التي تعد أول محمية بحرية في إيطاليا، كوجهة مفضلة لعشاق الغوص واستكشاف الحياة البحرية، بفضل مياهها النقية وتنوعها البيولوجي الغني. أما جزيرة سالينا فتشتهر بكروم عنب المالفاسيا، ومنتجاتها الزراعية المحلية، ومطبخها الذي يعكس هوية صقلية التقليدية.

وتضم جزر إيجادي، مثل فافينيانا وليفانزو وماريتيمو، مجموعة من الشواطئ الهادئة والكهوف الطبيعية والمواقع الأثرية ومسارات المشي التي تكشف جمال الطبيعة البكر.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

خبر سار لتنابلة السلطان

أيها الكسالى، المتقاعسون، المبدعون في تأجيل كل شيء، الفلاسفة الذين اكتشفوا منذ زمن أن الجلوس فنّ لا يُتقنه إلا الموهوبون: لقد جاءكم البشير. إيلون ماسك، أغنى رجل في الكون، قرّر أخيرا أن يُعلن رسميًا ما كنتم تعرفونه في أعماقكم منذ الدراسة الثانوية: العمل مزحة سيئة التوقيت، والمستقبل لمن يجلس ويدع الذكاء الاصطناعي والآلات تعمل.

في تصريح بالغ الأهمية، أعلن ماسك أن الذكاء الاصطناعي والروبوتات سيتمكّنان قريبا من تنفيذ جميع المهام بلا استثناء، وأن العمل سيُصبح "اختياريًا" مع توفير دخل مرتفع للجميع. قرأتم الخبر صحيحا: العمل اختياري، مثل الخضروات في وجبة الأطفال؛ أمامك لكنك لست ملزما بتناولها.

أخيرا، العلم يُصادق على ما كنتم تُتقنونه. منذ أن اخترع البشر الأعذار، كان الكسول في موقف دفاعي دائم. "لماذا لا تعمل؟" سؤال يلاحقه من المهد إلى اللحد. لكن ماسك، بثروته التي تتجاوز ناتج دول بأكملها، يقف اليوم كشاهد خبير ليقول للعالم: انتظروا قليلاً، هؤلاء لم يكونوا كسالى، كانوا يعيشون قبل أوانهم.

مئة مليون روبوت بشريّ الشكل خلال سنوات قليلة، ومليار محتمل لاحقا. أرقام تبث الشعور بالارتياح في نفس كل من شعر يوما بأن وجوده في مكان العمل عبء على الطرفين.

ماسك يقول: خمس سنوات حتى يتجاوز الذكاء الاصطناعي الذكاء البشري الإجمالي ويحل مكانكم. هذا يعني أن عليكم الصمود قليلا، خمس سنوات فقط من التظاهر باليقظة في الاجتماعات، وبعدها ستُنجز الآلة التقرير، وتُرتّب الملفات، وتردّ على الإيميلات بلهجة مهنية لا تنمّ عن كره حقيقي للمرسل كما قد يحدث حين تردّ أنت.

تخيّلوا المشهد: روبوت يجلس في مقعدك، يستمع إلى الاجتماع الأسبوعي، يومئ في اللحظات المناسبة، ويكتب في تقرير النهاية "تمّ تنفيذ المطلوب" بخطّ أنيق لا يشي بأي ضجر. أنت في المنزل، تتأمّل، تقرأ، تُفكّر في مصير الإنسانية أو تشاهد مسلسلا، كلاهما بالقيمة الفلسفية نفسها في نهاية المطاف.

لكنْ، وهنا البند الدقيق للتنابلة الذين يقرأون الأمور بتمعّن، في كل عقد تأجير ثمة بند بالحرف الصغير. ماسك قال "دخل مرتفع عالميًا"، وهذا جميل، لكنه لم يوضّح من سيُوزّع هذا الدخل. حين تنتج الروبوتات كل شيء، من سيمتلك الروبوتات؟ من المرجّح أن يكون الجواب: من يمتلك شركات الروبوتات. ومن يمتلك شركات الروبوتات؟ نقطة، انتهى الموضوع.

بمعنى آخر، السيناريو المتفائل يقول إن الروبوت سيعمل بدلاً منك، والسيناريو الأقل تفاؤلاً يقول إن الروبوت سيعمل بدلاً منك ولصاحبه لا لك، في حين أنك تجلس في منزلك وتتأمّل في عظمة المستقبل بمحفظة فارغة.

نصيحة من قلب ساخر: أيها المبدعون في تمضية الوقت، استمتعوا بهذا الخبر لكن لا تُقيموا خطة تقاعد كاملة على تصريح في مجلة Forbes، ولا تنسوا هذا: ماسك هو الرجل ذاته الذي وعد بسيارات ذاتية القيادة كاملة منذ عام 2016، ولا تزال السيارة التقليدية سيّدة الموقف.

المستقبل آتٍ، هذا صحيح، لكنه دائما يتأخّر قليلاً عن الموعد المُعلن، تماما مثلكم في يوم العمل.

في النهاية، الكسل الحقيقي لا ينتظر الروبوتات، فهو حالة روحية يرثها الموهوب جيلاً بعد جيل، بمعزل عن التكنولوجيا وتقلبات السوق. وهذا الإرث، على الأقل، لن تسرقه منكم أي آلة.